الباب الأول

حقيقة الاعتداء في الدُّعاء

وفيه فصلان:

الفصل الأول: تعريف الاعتداء في الدعاء.

الفصل الثاني: أنواع الاعتداء في الدعاء.

الفصل الأول

تعريف الاعتداء في الدُّعاء

وفيه مبحثان:

المبحث الأوَّل: تعريف الاعتداء في الدُّعاء لغةً.

المبحث الثاني: تعريفُ الاعتداء في الدُّعاء في الاصطلاح.

المبحث الأول
تعريف الاعتداء في الدُّعاء في اللُّغة

قال الراغب: أصل العَدو التَّجاوُزُ.

وعن ابن سيِّده: وعدوى: ظلمه ظلماً جاوَزَ فيه القدرَ.

وقيل: العدوان أسوأ الاعتداء في قوة أو فعل أو حال. ومنه قولُه تعالى: ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَـارًا**﴾ [النســاء: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ**﴾. أي معتـــدون. (لتعـــدى واعتـــدى وأعدى)، ومن الأخير: أعديتَ في منطقك: أي جُرْتَ. كما في الصِّحاح.

قال الرَّاغبُ: الاعتداءُ مجاوَزَةُ الحقّ؛ قد يكون على ســبيل الابتـــداء؛ وهو النهي عنه، ومنه قولُه تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥][(١)]. وعدا: جاوزه وتركه.

عدا فلان عدواً وعدوًّا وعدواناً: أي ظَلَمَ ظلماً جاوز فيـــه القـــدرَ. ويقال: عديته فتعدَّى: أي: تجاوز. وقولُه: فلا تعتدوها: أي لا تجاوزوها إلى غيرها. ومنه قوله: هم العادون. أي: المجاوزون ما حُدَّ لهم وأمروا به. وأصلُ هذا كلمة: مجاوَزَة الحدّ والقدر والحق؛ يقال: تعـــدَّيتَ الحـــقَّ واعتديتـــه وعدوته: أي جاوزتَه، وفي الحديث: «**سيكون قوم يعتدون في الدعاء**». هو الخروج فيه عن الوضع الشَّرعيِّ والسُّنَّة المأثورة، وقوله: إنَّه لا يحبُّ المعتدين. المعتدون: المجاوزون ما أمروا به[(٢)].

والتَّعَدِّي: مجاوَزةُ الشَّيء إلى غيره. يقال: عداه تعدية فتعدَّى: أي تجاوز[(٣)].

---

(١) تاج العروس ٣٩، ص٧١٦، دار الهداية.

(٢) لسان العرب، دار صادر- بيروت، ١٥/٣١).

(٣) مختار الصحاح ١٧٦/١، مكتبة لبنان، ناشرون بيروت، سنة ١٤١٥هـــ.

العداء- بالفتح والمدّ: الظُّلمُ وتجاوُزُ الحدّ، ومنه حديث: «**سيكون قوم يعتدون في الدعاء**»، وهو الخروجُ فيه عـــن الوضـــع الشَّـــرعيِّ والسُّـــنَّة المأثورة[1].

نخلص مما سبق أنَّ تعريفَ الاعتداء في الدُّعاء لغةً هو مجاوَزةُ الحدّ فيه.

(١) النهاية في غريب الحديث ١٩٣/٣، المكتبة العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٩هـــ.

المبحث الثَّاني

تعريفُ الاعتداء في الدُّعاء في الاصطلاح

* قال ابنُ القيِّم: الاعتداءُ في الدُّعاء هو كلُّ سؤال ينـــاقض حكمـــةَ الله، ويتضمَّن مناقَضَة شرعه وأمره، أو يتضمَّن خلاف ما أخبر به؛ فهو اعتداءٌ لا يحبُّه الله ولا يحبُّ سائلَه، وفُسِّرَ الاعتداءُ برفع الصَّوت أيضاً في الدُّعاء؛ قال ابنُ جرير: من الاعتداء رفعُ الصَّوت في الدُّعاء، والنِّداء في الدُّعاء والصِّياح[١].

* قال ابنُ الجوزيّ في زاد المسير في علم التّفســـير: (إنَّ الاعتـــداءَ في الدُّعاء فيه ثلاثة أقوال:

١- أن يدعو على المؤمنين بالشَّرِّ؛ كالخزي واللَّعنة.

٢- أن يسأل ما لا يستحقُّه من منازل الأنبياء.

٣- إنَّه الجهر في الدُّعاء.

* وعرَّفه الكلبيُّ وابن جريح بأنَّه رفعُ الصَّوت بالدُّعاء والصِّياح[٢].

* وقيل هو اختراع دعوة لا أصل لها في الشَّرع.

* وقيل الاعتداء هو أن يسأل الله ما لم تجر سنَّته بإعطائه أو إيجاده أو تغييره.

* والاعتداء: هو تجاوُزُ الحدِّ الذي حدَّه الله لعبده في دعائه ومسألته ربَّه[٣].

---

(١) بدائع الفوائد ج٣، ص٥٢٤. نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ١٤١٦هـــ، ط١، تحقيق هشام عطا.

(٢) زاد المسير ٣/٢١٥.

(٣) انظر جامع البيان، ٥/٥١٥، ج٨، ص٢٠٧.

* الاعتداءُ هو تجاوُزُ الحدِّ الذي حدَّه الله لعباده إلى غيره، وكـــلُّ مـــا تَجاوَزَ حدَّ شيء إلى غيره فقد تعدَّاه إلى ما جاوَزَه إليه[1].

نَخْلُصُ ممَّا سَبَقَ إلى أنَّ تعريفَ الاعتداء في الدُّعاء اصـــطلاحاً هـــو: تَجَاوُزُ الحدّ الشَّرعيّ في الدُّعاء معنى أو لفظاً أو أداءً وهيئةً.

(١) تفسير الطبري ١٤٢/٢ مؤسسة الرسالة للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـــ، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

الفصل الثاني

أنواع الاعتداء في الدُّعاء

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الاعتداء في المعاني.

المبحث الثاني: الاعتداء في الألفاظ.

المبحث الثالث: الاعتداء في الهيئة والأداء.

المبحث الرابع: الاعتداء في الدعاء المكاني.

المبحث الخامس: الاعتداء في الدعاء الزماني.

قبل الدخول في هذا الموضوع يَحسن أن أشيرَ إلى أنَّ الاعتداءَ في الدُّعاء تتفاوت مراتبُه؛ فهو ليس على مرتبة واحدة؛ فمنه ما يَـــدْخُلُ في الشِّـــرك الأكبر، ومنه ما هو محرَّم، ومنه ما هو مكروه.

والاعتداءُ في الدُّعاء قد يكون في الألفاظ أو المعاني أو الهيئة والأداء أو الزمان أو المكان على ما سيأتي بيانُه إن شاء الله.

ويَحسن بي أن أقفَ عند نقطة مهمَّة؛ وهي أنَّ بعضَ الناس لا يَقبلـــون معنى الاعتداء في الدُّعاء بحجَّة أنَّ اللهَ على كلِّ شيء قدير، وأنَّه مهما دعـــا الإنسان فإنَّ اللهَ قادرٌ على أن يُجيبَ دعوتَه.

والجواب أنَّ اللهَ قد وَضَعَ لنا سنناً وقوانين كونيَّة وشرعيَّة لا يجوز لنـــا أن نتعدَّاها؛ فاللهُ قادرٌ على أن يأتي بالولد من غير وطء؛ (مثل عيسى عليـــه السَّلام)؛ لكنها سنَّةُ الله في الاستيلاد؛ أنَّه لابدَّ من وطء، وكذلك اللهُ قادرٌ على أن يَرزق الإنسانَ وهو في قعر بيته لم يكتســـب؛ لكـــن ســـنَّة الله في الاسترزاق هي الكسب؛ (لذلك فلا يطلب أحد من ذوي الألباب وقـــوع المسبَّب من غير سبب؛ لما فيه من سوء الأدب)[1].

(١) الأزهية في أحكام الأدعية، ص٣٥.

المبحث الأول
الاعتداءُ في المعاني

وضابطُه: أن تتضمَّن هذه الأدعية معاني محرَّمةً أو مكروهةً:

١- الدُّعاء بلفظ اللَّهمَّ أُمَّني بكذا أو صلِّ عليّ. ونحو ذلك؛ وهذه الألفاظُ وإن كان في ظاهرها لا بأس بها لكنَّها تحمل معـــنى ســـيِّئًا لا يسوَّغُ الدُّعاء به؛ قال ابنُ القَيِّم: (ولا يُسَوَّغُ ولا يَحسن في الدُّعاء أن يقول العبد: اللهمَّ أُمَّني بكذا. بل هذه مستكره في اللفظ والمعنى؛ فإنَّه لا يقال: اقصدني بكذا إلَّا لمن كان يعرض له الغلط والنِّســـيان فيقـــول: اقصدني. وأمَّا مَن لا يفعل إلَّا بإرادته ولا يضلُّ ولا ينسى فـــلا يقـــال: اقصدني بكذا)[١].

٢- أن يكون المسؤول ممتنعاً عقلاً وعادة وله صور؛ كإحياء المـــوتى ورؤية الله في الدُّنيا أو يسأل منازل الأنبيـــاء في الآخـــرة أو معجـــزاتهم في الدُّنيا[٢].

وكذلك من صوره:

الدُّعاء بجمال يوسف- عليه السَّلام- وبملك ســـليمان؛ وذلـــك لأنَّ يوسف أعطي شطر الحسن كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام[٣].

---

(١) جلاء الإفهام ١/١٤٥، دار العروبة، الكويت، ١٤٠٧هـــ تحقيق الأرناؤوط.
(٢) الأزهية في أحكام الأدعية ص٧٥.
(٣) صحيح مسلم باب الإسراء ١/١٤٦.

وأمَّا سليمان فلأنَّه ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾[١]. قال البغوي[٢] في تفسيره: قيـــل ســـأل ذلك ليكون آية لنبوَّته ودلالة على رسالته ومعجزة.

وكذلك الدُّعاء بتغيير لون البشرة أو الطُّول أو القصر، وأن تسأل المرأة التي بلغت سن اليأس ولداً، وكذلك التي استُئصل رحمُها، (وهنا قيد: هو أنَّه يجوز أن يسأل العبد ربَّه في مقام الاضطرار والشِّدَّة سؤالاً مطلقاً أن يكشف عنه ضرورة وقعت به فينقض الله له عادة؛ كما إذا حدث له في بادية عطش فدعا الله أن يكشف ما أصابه من الضُّرِّ مطلقاً كان ذلك جائزاً وإن كان في إجابته إيَّاه نقضُ العادة)[٣].

وكذلك صلاة الاستسقاء في غير وقتها (موسم نزول الأمطار)؛ فيصلِّي ويدعو دعاء الاستسقاء في وقت الصَّيف مع أنَّ عادةَ هذا البلد أن لا يَنـــزل المطر إلَّا في الشِّتاء.

٣- أن يكون على السَّائل حرجٌ مما سأل؛ كسؤال الخمر وغيره مـــن المحرَّمات؛ لما تضمَّنَه سؤالُه من إتاحة الحـــرام، ولقولـــه ﷺ: «**يســـتجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم**»[٤].

٤- أن يكون على السائل حرجٌ مما سأل؛ كسؤال المال والجاه والولد والعافية وطول العمر؛ للتَّفاخر والتَّكاثر والاستعانة بها على قضاء ما حرَّم الله من الشَّهوات.

---

(١) تفسير البغوي ٤/٦٤.

(٢) البغوي: هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي الشافعي، ولد سنة ٤٣٣هـــ وكان عالماً بالتفسير ديِّناً ورعاً على معتقد السَّلَف، توفي سنة ٥١٦هـــ. ينظر طبقات الشافعية، ١/٤٧.

(٣) الأزهية في أحكام الأدعية، للزركشي، ص٥٨.

(٤) رواه مسلم، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي برقم ٢٥ (٤/٢٠٩٥).

٥- إنَّ حاجتَه إذا عظمت يسألها الله- تعالى- سؤال مستعظم لهـــا في ذات الله؛ بل يسأله الصَّغيرة والكبيرة سؤالاً واحداً؛ للحديث الـــذي رواه مسلم وابنُ حبَّان عن أبي هريرة: «**إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإنـــه لا يتعاظم على الله شيء**»(١).

٦- أن يدعو السَّائل من باب الاسترسال في الدُّعاء والعادة فقط دون العزم والنِّيَّة؛ كأن يدعو أن يخلِّصَه الله من معصية وهو مصرٌّ عليها ويواقعها.

٧- طلب نفي ما دلَّ الشَّرع على ثبوته: كالدُّعاء للكفـــرة بـــالمغفرة ونفي تخليدهم في النار، أو الدُّعاء على المسلم الموحِّد بالخلود في النَّار.

٨- طلبُ ثبوت أمر دلَّ الشَّرع على نفيه؛ كقولهم: (اللهم اجعلني أوَّلَ من تنشقُّ عنه الأرض يوم القيامة). أو يسأل الله العصمة من الخطأ والذُّنوب مطلقاً لحديث «**كلُّ ابن آدم خطَّاء**»(٢).

٩- أن يتعدَّى في الدُّعاء على مَن ظلمه؛ لاسيَّما المسلم، وله صور:

* أن يدعو عليه بملابَسة معصية من المعاصي أو الكفر أو الختم بالكفر أو الرِّدَّة؛ كأن يقول مثلا: اللهم اهتك عرضه. أو: اللهم أَمِتْه على غير ملَّة محمد ﷺ.

* بل المندوب إليه هو الصَّفحُ والعفوُ، وإن دعا عليه فليدع عليه بقضيَّة مثل قضية أو دونها؛ حتى لا يكون ظالماً في الزِّيادة؛ كأن يقول: اللهمَّ افعل به ما فعل بي. أو نحوه. قال الله تعالى: ﴿**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِـــنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا**﴾.

---

(١) سبق تخريجه ص١٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١٩٨/٣، والترمذي ٦٥٩/٤، وقال ابن حجر في البلوغ: إسناده قوي، ص٣٠٢، وأخرجه الحاكم ٢٧٢/٤، وقال: صحيح الإسناد. ولم يخرجاه.

قال ابنُ عبَّاس: لا يحبُّ الله أن يدعو أحد على أحد إلَّـــا أن يكـــون مظلوماً؛ فإنَّه قد أرخص له أن يدعو على مَن ظلمه وذلك قوله: «إلا مـــن ظلم.. وإن صبر فهو خير له». اهـــ[١].

وفي السُّنَّة بيان للصِّيغة التي يدعو بها على مَن ظلمه؛ فعن جابر- رضي الله عنه- قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «**اللهمَّ أصلح لي سمعي وبصري واجعلهما الوارثين مني وانصرني على مَن ظلمني وأرني منه ثأري**»[٢]. أمَّا الدُّعاء بالضَّلالة والغواية فكما ذكرنا لا يجوز؛ لقوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾.

قال بعضُ السَّلَف في معنى المعتدين: (هم الذين يَدْعون على المـــؤمنين فيما لا يحلُّ فيقولون: اللهمَّ اخزهم، اللهمَّ العنهم).اهـــ[٣]

وقال سعيد بن جبير: (لا تدعو على المؤمنين بالشَّرِّ: اللهمَّ اخزه والعنه. ونحو ذلك؛ فإنَّ ذلك عدوان).اهـــ[٤].

وقال الحسنُ البصريُّ: (قد أرخص له أن يدعو على مَن ظلمه من غير أن يتعدَّى عليه)[٥].

يقول الإمامُ القرافيُّ: الدُّعاء على الظَّالم له أحوال:

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٥٧٢.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ١/١٢٦، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار ٣/٨٧) وصححه الألباني في الأدب المفرد برقم ٢٥٢ (١/٢٤٥).

(٣) الدر المنثور ٣/٤٧٥.

(٤) تفسير ابن كثير ١/٥٧٢.

(٥) تفسير البغوي ٣/٢٣٧.

* إمَّا بعزله لزوال ظلمه فقط؛ وهذا حسن.

* وثانيهما: بذهاب أولاده وهلاك أهله ونحوهم ممَّن تعلَّق به و لم يحصل منه جناية عليه، وهذا منهيٌّ عنه لأذيَّته مَن لم يمنّ عليه.

* وثالثهما: الدُّعاء بالوقوع في معصية؛ كابتلائه بالشُّرب أو الغيبـــة أو القذف؛ فينهى عنه أيضاً؛ لأنَّ إرادةَ المعصية للغير معصية.

* ورابعهما: الدُّعاء عليه بحصول مؤلمات أعظم ممَّا يستحقُّه في عقوبته؛ فهذا لا يتَّجه أيضاً؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَـــزْمِ الْأُمُورِ**﴾. ففعلُه جائز وتركُه أحسن[1].

قد يشتبه على بعض الناس دليلان في ظاهرهما الدلالة على جواز الدُّعاء على الظالم بالإثم والمعصية:

أحدُهما: من القرآن الكريم؛ وذلك في حكاية الله- عزَّ وجـــلَّ- عـــن موسى- عليه السَّلام- دعاءه على فرعون وقومه، وفيه: ﴿**وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَـــنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّـــى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾ [يونس: ٨٨].

فالجواب عن هذا بأن يقال: إنَّ دعاءَ موسى جاء بعد علمه بوحي من الله تعالى أنَّ قومَ فرعون لا يؤمنون ولو جاءتهم كلُّ آية ومعجزة؛ وليس فيه الدُّعاءُ مطلَقاً على كلِّ كافر أو ظالم بطمس القلب واليأس مـــن الإيمـــان والتَّوبة.

---

(١) الفواكه الدواني ١/٤٧٠.

يقول ابنُ كثير: ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾. قال ابنُ عبَّاس: أي اطبـــع عليها، ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾. وهذه الدَّعوةُ كانت مـــن موسى- عليه السَّلام- غضباً لله ولدينه على فرعون وملئه الذين تبيَّن له أنَّه لا خيرَ فيهم، ولا يجيء منهم شيء؛ كما دعا نوح- عليه السَّلام- فقـــال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِـــلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ انتهى[1].

ويقول القُرطبيُّ: وقد استشكل بعضُ النَّاس هذه الآية فقال: كيف دعا عليهم، وحكمُ الرُّسُل استدعاء إيمان قومهم؟[2].

فالجواب: أنَّه لا يجوز أن يدعو نبيٌّ على قومه إلَّا بإذن من الله، وإعلام أنَّه ليس فيهم مَن يؤمن ولا يخرج من أصلابهم مَن يؤمن دليلُه قولُه لنـــوح- عليه السلام: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾؛ وعند ذلك قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾. انتهى.

ويقولُ الشَّيخُ أحمد النّفراويّ: اختُلف في جواز الدُّعاء علـــى المســـلم العاصي بسوء الخاتمة[3].

قال ابنُ ناجي: أفتى بعضُ شيوخنا بالجواز محتجًّا بدعاء موسى علـــى فرعون بقوله تعالى حكايةً عنه: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَـــى قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨].

والصَّوابُ عندي أنَّه لا يجوز، وليس في الآية ما يدلُّ على الجواز؛ لأنَّه فرَّق بين الكافر المأيوس من إيمانه كفرعون، وبين المؤمن العاصي المقطوع له بالجنَّة؛ إمَّا ابتداءً أو بعد عذاب. انتهى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٩٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٧٥.

(٣) الفواكه الدواني ١/٤٧٠.

الثاني: حديث جابر بن سمرة- رضي الله عنه- في قصَّة شكاية أهـــل الكوفة سعد بن أبي وقَّاص إلى عمر، وقيام ذلك الرَّجل في المسجد واتِّهامه لسعد بتهم عدَّة قال:

(قال سعد: أما والله لأدعونَّ بثلاث: اللهمَّ إن كان عبدُك هذا كاذبـــاً قام رياءً وسمعةً فأطل عمره، وأطل فقره، وعرِّضْه بالفتن.

وكان بعدُ إذا سُئل يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابتني دعوةُ سعد.

قال عبد الملك: فأنا رأيتُه بعد قد سَقَطَ حاجباه على عينيه من الكبَـــر، وإنَّه ليتعرَّض للجواري في الطُّرُق يغمزهنَّ)[1].

فَظَنَّ بعضُ النَّاس أنَّ سعداً دعا عليه بالمعصية والإثم؛ ولكنَّ الصَّواب أنَّه دعا عليه بتعرُّضه للفتن والبلايا والمحن في الدِّين والدُّنيا؛ كما قال: (وعَرِّضْه للفتن). والفتنةُ لا تعني المعصية؛ ولكنَّها تعني الشِّدَّة التي قد توقع في المعصية إن لم يَصبر عليها؛ وهذا ما حَصَلَ.

يقول الحافظ ابن حجر: (وفيه جوازُ الدُّعاء على الظالم المعـــيَّن بمـــا يَستلزم النَّقصَ في دينه، وليس هو مَن طلب وقوع المعصية؛ ولكن من حيث إنَّه يؤدِّي إلى نكاية الظَّالم وعقوبته). انتهى[2].

ثالثا: خيرٌ من ذلك كلِّه: العفوُ وتركُ أمر الظَّالم له- سبحانه وتعالى- يوم القيامة؛ وذلك أنَّ مَن عفا عن حقِّه في الدُّنيا أخذه وافـــراً في الآخـــرة وأراح قلبَه من شوائب الحقد والغيظ.

---

(١) رواه البخاري ٧٥٥.

(٢) فتح الباري ٢/٢٤١.

قال ﷺ: «**يا عقبة بن عامر: صل من قطعك، وأعط من حرمـــك، واعف عمن ظلمك**»[١].

١٠- تحجُّرُ الدُّعاء: ومن ذلك قولُ الأعرابيّ: (اللهمَّ ارحمني ومحمَّـــدًا ولا ترحم معنا أحداً). فلمَّا سَلَّمَ النَّبيُّ ﷺ قال للأعرابيِّ: «**لقـــد حجَّـــرتَ واسعاً**». يريد رحمة الله[٢].

١١- تعليقُ الدُّعاء بالمشيئة؛ فعن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يَقُلْ أحدُكم: اللهمَّ اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شـــئت. ليعـــزم المسألة؛ فإنَّ اللهَ لا مكرهَ له**»[٣]. ولمسلم: «**وليعظم الرَّغبة، فـــإنَّ اللهَ لا يتعاظمه شيء أعطاه**»[٤].

فقولُ القائل: (اللهمَّ اغفر لي إن شئت). كأنَّه يقول: لســـتُ محتاجـــاً إليك؛ إن شئتَ فاغفر لي، وإن لم تشأ فلستَ بمحتاج. وهذا فعـــلُ أهـــل التَّكبير وأهل الإعراض عن الله؛ ولهذا حُرِّمَ هذا اللَّفظ.

وقولُه: «ليعزم المسألة». هذا أحدُ أسباب المنع في الحديث؛ وهو أنَّ تعليقَـــه بالمشيئة يدلُّ على الفتور وضعف الهمَّة وقلَّة التعلُّق بالله تعالى؛ ولذا قـــال: ليعـــزم المسألة. أي: اسأل بعزم وقوَّة.

قوله: «فإن اللهَ لا مكرهَ له». هذا السَّبب الثَّاني؛ لأنَّ تعليـــقَ الـــدُّعاء بالمشيئة يوهم أنَّ اللهَ له مكره له، ويوهم النَّقصَ لله؛ فإنَّ اللهَ لا مكرهَ له[١].

---

(١) رواه أحمد (١٥٨/٤) وصححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٨٩١.

(٢) رواه البخاري باب رحمة الناس والبهائم برقم ٥٦٦٤ (٢٢٣٨/٥).

(٣) رواه البخاريّ، باب ليعزم المسألة فإنَّه لا مكره له، برقم ٥٩٨٠ (٢٣٣٤/٥)، مسلم، باب ليعزم المسألة ولا يقل: إن شئت. برقم ٢٦٧٩ (٢٠٦٣/٤).

(٤) سبق تخريجه ص٢٦.

(١) التمهيد شرح كتاب التوحيد ص٥١٥.

١٢- الدُّعاء على الأهل والمال والولد والنَّفس؛ لأنه ضررٌ محضٌ وليس فيه مصلحة، وقد نَهَى عنه الشَّارع الحكيم؛ قال ﷺ: «**لا تـــدعوا علـــى أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءٌ فيستجيب لكم**»(١).

١٣- تَمَنِّي الموت: عن أنس بن مالك- رضي الله عنه، قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أحدُكم الموتَ من ضُرٍّ أصابه؛ فإن كان لابدَّ فاعلاً فليقل: اللَّهمَّ أحيني ما كانت الحياةُ خيراً لي، وتَوَفَّني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي**»(٢).

وعن أبي عبيد سعد بن عبيد مولى عبد الرحمن بن أزهر أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يتمنَّى أحدُكم الموتَ؛ إمَّا محسناً؛ فلعلَّه يزداد، وإمَّا مســـيئاً؛ فلعلَّه يستعتب**»(٣).

قال النَّوويُّ: في الحديث التَّصريح بكراهة تَمَنِّي الموت لضُرٍّ نَزَل به من فاقة أو محنة بعدوٍّ ونحوه من مشاقِّ الدُّنيا؛ فأمَّا إذا خاف ضرًّا أو فتنةً في دينه فلا كراهةَ لمفهوم هذا الحديث؛ وقد فَعَلَه خلائق من السَّلَف.اهـــ(٤).

وأصرحُ منه في ذلك حديثُ معاذ الذي أخرجه أبـــو داود وصـــحَّحه الحاكم في القول في دُبُر كلِّ صلاة، وفيه: «**وإذا أردتَ بقوم فتنةً فتـــوفَّني إليك غيرَ مفتون**»(٥).

---

(١) مسلم، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر برقم ٣٠٠٩ (٢٠٣٤/٤).
(٢) البخاري باب نهي تمني المريض الموت، برقم ٥٣٤٧ (٢١٤٦/٥)، مسلم، باب كراهة الموت برقم ٢٦٨٠ (٢٠٦٤/٤).
(٣) البخاري، باب ما يكره من التمني برقم ٦٨٠٨ (٢٦٤٤/٦).
(٤) فتح الباري (٢٧١/١٣).
(٥) رواه الترمذي، باب سورة ص برقم ٣٢٣٣ (٣٦٦/٥) وقال الألباني في تعليقه على الحديث صحيح.

قال ابنُ حَجَر في تعليقه على حديث أبي عبيد: (وقد خَطَرَ لي في معنى الحديث أنَّ فيه إشارةً إلى تغبيط المحسن بإحسانه وتحذير المسيء من إساءته؛ فكأنَّه يقول: مَن كان محسناً فليترك تَمَنِّي الموت، وليستمر على إحسانه والازدياد منه، ومَن كان مسيئاً فليترك تمنِّي الموت، وليقلع عن الإساءة؛ لئلَّا يموت على إساءته؛ فيكون على خطر[١].

١٤- الدُّعاء بتعجيل العقوبة:

فعن أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له النَّبيُّ ﷺ: «**هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟**» قال: نعم؛ كنتُ أقول: اللهمَّ ما كنتَ معاقبني به في الآخرة فعجِّله لي في الدُّنيا.

فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله؛ لا تطيقه، أو لا تستطيعه؛ أفلا قلتَ: اللهمَّ آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النَّار**». فدعا الله له فشفاه[٢].

عَلَّقَ على هذا الحديث الإمام النَّوويّ في شرحه على صحيح مسلم فقال: قولُه: «قد خَفَت» أي: ضعف. وفي الحديث النَّهي عن الدُّعاء بتعجيل العقوبة، وفيه كراهية تمنِّي البلاء؛ لئلَّا يتضجَّر منه ويسخطه، وربَّما شكا.اهـ[٣].

ولماذا يتعجَّل المؤمنُ العقوبةَ وهو يقدم على مولى كريم قد يَصفح ويعفو أصلاً بدون أن يعاقبَه؛ ففيه نوع سوء ظنٍّ بالله؛ لذلك أرشد النَّبيُّ ﷺ إلى الدُّعاء الجامع المانع؛ وهو قولُه: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مسلم، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا برقم ٢٦٨٨ (٤/٢٠٦٨).

(٣) شرح النووي على مسلم ١٧/١٨٣.

المبحث الثَّاني

الاعتداء في ألفاظ الدُّعاء

وضابطُه: أن يكون التَّعَدِّي في تراكيب الكلمـــات وفي غرابتـــها، أو التَّفصيل، أو التَّشقيق في العبارات والزِّيادة في الكلمات على نحو لم يكـــن معروفاً عند السَّلَف:

١- أن يَشتمل الدُّعاء على الشِّرك؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾.

ومن صوره أن يصرفَ الدُّعاء لغير الله، أو أن يدعو مع الله غيرَه؛ كأن يقول: يـــا رسول الله، اكشف كربتي. أو: يا عليُّ. أو: يا جيلاني.. فلا شَكَّ أنَّه كفرٌ صريحٌ ناقلٌ من الملَّة؛ قال تعالى: ﴿**إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَـــوْ سَـــمِعُوا مَـــا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾[1].

٢- تصغير أسماء الله تعالى؛ كأن يقول: (يا رُبَيِّبي، يا حُنَيِّن، يا رحيِّم)[2].

٣- دعاء صفات الله: لأنَّ الصِّفةَ غيرُ الذَّات في مقام النِّداء؛ ولهـــذا إنَّما ينادى الله- جَلَّ وعلا- المتَّصف بالصِّفات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأمَّا دعاء صفاته وكلماته فكفرٌ باتِّفاق المسلمين؛ فهل يقول مسلم: يا كلام الله اغفر لي وارحمني وأغثني، أو أعني. أو يا علم الله أو يا قدرة الله، أو يا عزَّة الله، أو يا عظمة الله. ونحو ذلك؟ ! أو سمع مسلماً أو كافراً أنَّه دعا بذلك من صفات الله، أو يطلب من الصِّفة جلبَ منفعة أو دَفْعَ مَضَرَّة، أو إعانة، أو نصر، أو غير ذلك[1].

---

(١) فاطر، الآية ١٤.

(٢) شأن الدعاء، الدعاء للحمد ص٨١.

(١) الرَّدُّ على البكريِّ لابن تيمية، ١/١٨١، نشر مكتبة الغرباء الأثريَّة، المدينة، تحقيق محمد عليّ عجال، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـــ.

٤- دعاءُ الله بأسماء لم تَرِدْ في الكتاب ولا في السُّنَّة؛ فمن صُوَره قولُ بعضهم: يا سبحان، يا برهان، يا سلطان؛ قال الخطَّابيُّ: (وممَّا يسمع علـــى ألسنة العامَّة وكثير من القصّاص قولهم: يا سبحان، يا برهان، يا غفران، يا سلطان). وكذلك قولهم: يا رب القرآن. قال الخطَّاب: (أوَّلُ من أنكر ذلك ابنُ عبَّاس؛ فإنَّه سمع رجلاً يقول عند الكعبة: يا ربَّ القرآن. فقال لـــه: إنَّ القرآن لا رب له؛ إنَّ كلَّ مربوب مخلوق)[١].

٥- أن يدعو بدعاء لا يعرف معنى لألفاظه؛ كما ذكره محمَّـــد بـــن الحسن عن شيخه أبي حنيفة[٢] قال: نَكْرَهُ أن يدعوَ الرَّجلُ فيقول: (اللـــهمَّ أسألك بعقد العزّ من عرشك)[٣]؛ لأنَّه ليس يَنكشف معنى هذا الدُّعاء لكلِّ أحد، ولأنَّه لا يُتصوَّر أن يستشعر الإنسانُ دعاءً لا يَفهمه؛ لذا يَنبغي للدَّاعي أن يتخيَّر من الأدعية ما يفهم معناه.

وعلى إمام المسجد والخطيب أن يتخيَّر الألفـــاظَ السَّـــهلةَ الواضـــحةَ المعاني؛ لأنَّ كثيراً من عوامِّ النَّاس لا يَفهم معنى الأدعية الواردة الصَّـــحيحة؛ فكيف بغيرها؟ !

ولذا كان من المستحسن من الدَّاعية وطالب العلم وإمام المسجد والخطيب شرح الأدعية المأثورة وتبيين معناها للنَّاس؛ لكي يستشعروها أثناءَ دعائهم.

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة ١١١/٥.

(٢) النعمان بن ثابت الكوفي مولى بني تميم ولد سنة ٨٠هـــ، رأى أنساً وروى عن عطاء بن أبي رباح، وتَفَقَّه على حمَّاد بن أبي سليمان، وكان من أذكياء العالم، جمع الفقه والعبادةَ والوَرَعَ والسَّخاءَ، وكان لا يَقبل جوائزَ الدَّولة. قال الشَّافعيُّ: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. توفِّي سنة ١٥٠هـــ. انظر: العبر في خبر مَن غَبر، ص٣٩.

(٣) روه الطَّبرانيُّ في المعجم الكبير باب قيلة بن مخرمة العنبرية ١٢/٢٥، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات ١٤٢/٢، وقال: هذا حديث موضوع بلا شكّ. وأقرَّه الحافظ الزَّيلعيّ في نصب الرَّاية (٣٣٨/٤).

٦- التَّفصيل عند الدُّعاء بأحوال البرزخ في يوم القيامة أو بأحوال الموت وسكراته؛ ومن صوره: (اللهمَّ ارحمنا إذا بردت القدمان وشخصت العينان ويبس منَّا اللِّسان).

وكقول بعضهم في دعائه: (اللهمَّ ارحمنا إذا يئس منَّا الطَّبيبُ وبَكَـــى علينا الحبيبُ...) إلخ.

٧- التَّفصيل عند الدُّعاء بالجنَّة؛ فمن صُوَره: (اللهمَّ إنَّا نسألك الجنَّـــةَ في سدر مخضود وطلح منضود وظلٍّ ممدود... إلخ. مع أنَّه كان يكفيـــه أن يَلتـــزم بجوامع الكلم ويَدَع ما سوى ذلك؛ فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يستحبُّ الجوامعَ من الكلم في الدُّعاء ويَدَع ما سوى ذلك.[1]

وقد خرَّج أبو داود عن أبي نعامة عن ابن سعد بن أبي وقَّاص أنَّه قال: سمع أبي وأنا أقول: (اللهمَّ إنِّي أسألك الجنَّةَ ونعيمَها وبهجتَها وكذا وكـــذا، وأعوذ بك من النَّار وسلاسلها وأغلالها وكذا وكذا. فقال: يا بـــنيَّ إنِّـــي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**سيكون قومٌ يعتدون في الدُّعاء؛ فإيَّـــاك أن تكون منهم؛ إن أعطيت الجنَّة أعطيتَها وما فيها، وإن أعذتَ مـــن النَّـــار أعذتَ منها وما فيها من الشَّرِّ**»[2].

٨- التَّفصيلُ والاختراعُ في الدُّعاء على الكفَّار؛ ومن ذلك: اللهمَّ جمِّد الدِّماءَ في عروقهم، اللهمَّ سَكِّن ما تحرَّك في أجسادهم، وحَرِّك ما سكن منها، اللهمَّ اجعل الموتَ أغلى أمانيهم، اللهمَّ رمِّل نساءهم ويَتِّم أطفالَهم... إلخ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسند عائشة رضي الله عنها برقم ٢٥١٩٣ (١٤٨/٦)، وأبو داود باب الدعاء برقم ١٤٨٢ (٤٦٧/١) وقال الألباني في تعليقه صحيح.

(٢) أبو داود باب الدعاء برقم ١٤٨٠ (٤٦٦/١) وقال الألباني في التعليق صحيح.

ولقد كان من دعاء الخليفة الرَّاشد عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- على الكفرة قوله: (اللَّهمَّ عذِّب الكفرة الذين يصدُّون عن سبيلك ويكذِّبون رسولَك ويقاتلون أولياءك ولا يؤمنون بوعدك وخالف بين كلمتهم وألق في قلوبهم الرُّعبَ وألق عليهم رجزَك وعذابَك إله الحقّ)[1].

٩- أن يخترعَ الدَّاعي ألفاظاً عامَّةً من عنده يدعوه بها في سـجوده ويتحرَّى بها مواطنَ الإجابة.

ومن صوره: (اللهمَّ افتح الباب وارفع الحجاب). ويفرَّقُ بين هذا وبين من كانت له حاجة خاصَّة يلحُّ على الله بها.

١٠- السَّجعُ المتكلَّف في الدُّعاء؛ خصوصاً في القنوت والبحث عن غرائب الأدعية والكلمات.

والسَّجع هو: ما استوى واستقام وأشبه بعضُه بعضاً.

وقيل: السَّجعُ: الكلامُ المقفَّى، أو: هو تواطؤُ الفاصلتين من الشَّرِّ على حرف واحد[2].

ومن صُوره: (اللهمَّ إنَّا نسألك الأمنَ في البلد والصِّحَّة في الجسد والصَّلاح في الولد)، وكذلك قوله: (اللهمَّ إنَّا نسألك رزقاً دارًّا وعيشاً قارًّا وعملاً سارًّا).

وقد ثَبتَ في البخاريِّ عن عكرمة عن ابن عبَّاس- رضي الله عنه- قال له: (فانظر السَّجعَ في الدُّعاء فاجتنبه؛ فإنِّي عهدتُ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه لا يفعلون إلَّا ذلك الاجتناب)[1].

---

(١) مسند أحمد باب حديث عبد الله الزّرقيّ برقم ١٥٥٣١ (٤٢٤/٣)، النَّسائيّ باب الاستنصار عند اللقاء برقم ١٠٤٤٥ (١٥٦/٦)، والحاكم كتاب الدُّعاء والتَّكبير والتَّسبيح والتَّهليل برقم ١٨٦٨ (٦٨٦/١)، وقال: حديث صحيح على شرط الشَّيخين، ولم يخرِّجاه. وقال الذَّهبيُّ في التَّلخيص على شرط البخاريّ ومسلم.

(٢) انظر لسان العرب ١٥٠/٨، التعريفات للجرجاني، ص١٥٦.

(١) البخاري باب ما يكره من السجع في الدعاء ٢٣٣٤/٥.

قال القرطبيُّ- رحمه الله- عند كلامه على قوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥]: وهو أن يدعوَ بما ليس في الكتاب والسُّنَّة فيتخيَّر ألفاظاً مفقَّرةً وكلمات مسجوعةً قد وجدها في كراريس لا أصلَ لها ولا معوَّل عليها فيجعلها شعارَه ويترك ما دعا بـــه رسول الله ﷺ؛ وكلُّ هذا يمنع من استجابة الدُّعاء[(١)].

وإنَّه لمن الحزن أن يتعدَّى في الدُّعاء بمثل هـــذه الأدعيـــة المســـجوعة المخترَعة؛ خصوصاً في الأوقات والأزمان الفاضلة في ليالي رمضان؛ فيفوِّت الدَّاعي على نفسه وعلى الناس إذا كان إماماً الإجابةَ في مثل هذه الفـــرص العظيمة، وقد يُشكل ما ورد في بعض الأدعية عن النَّبيِّ ﷺ من السَّجع؛ لذا قال ابنُ حجر في إيضاح هذا المشكل أنَّ ذلك كان يَصدر من غير قصـــد إليه؛ ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام؛ كقوله ﷺ في الجهاد: «**اللـــهم منـــزل الكتاب، سريع الحساب، هازم الأحزاب...**»[(٢)]. وكقولـــه ﷺ: «**صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**»[(٣)]. وكقوله: «**أعـــوذ بك من عين لا تدمع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع**». وكلُّها صحيحةٌ؛ قال الغزاليُّ: (المكروهُ من السَّجع هو التَّكَلُّفُ؛ لأنَّه لا يلائم الضَّراعةَ والذِّلَّةَ؛ وإلَّا ففي الأدعية المأثورة كلمات متوازية لكنَّها غيرُ متكلِّفة. ا.هـــ[(٤)].

(١) تفسير القرطبي ٢١٨/٧.
(٢) صحيح مسلم، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ١٣٦٢/٣.
(٣) سنن أبي داود، باب في دية الخطأ شبه العمد برقم ٤٥٤٧ (٥٩٣/٢)، سنن النسائي، ذكر الاختلاف على خالد الحذاء برقم ٤٧٩٩ (٤٢/٨)، سنن ابن ماجه، باب دية شبه العمد مغلظة برقم ٢٦٢٨ (٨٧٨/٢)، وقال في المجمع: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة، وهو ثقة. (١٠٤/٦).
(٤) فتح الباري، كتاب الدعوات (١٦٧/١١).

١١- التزامُ أدعية لا تصحُّ عن النَّبيِّ ﷺ:

ومن صوره:

أ- (تَمَّ نورُك فهديت فلك الحمد، عظـــم حلمُـــك فعفـــوتَ فلـــك الحمد...) رواه أبو يعلى بسند ضعيف؛ لأنَّه منقطعُ الإسناد فيه فرات بـــن سلمان؛ لم يَلْقَ عليًّا- رضي الله عنه؛ فهو منقطعُ الإسناد.

ب- (يا مَن لا تراه العيون ولا تخالطه الظُّنون... إلى أن قـــال: يعلـــم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد ورق الأشجار). أخرجه الطبراني بسند فرد فيه من لا يعرف.

ج- (يا من أظهر الجميل وستر القبيح يا من لا يؤاخذ بالجريرة.. إلى قوله: نسألك يا الله أن لا تشوي خلقي بالنار). قال الذهبي في الميزان في ترجمة أحمد بن داود الصنعاني أحد رواة الحديث: أتى بخبر لا يحتمل ثم ذكره[1].

١٢- التزامُ أدعية الصَّالحين: وذلك أنَّ بعضَ الصَّالحين عَرَضَ له أمرٌ فدعا اللهَ بلفظ معيَّن فاستجاب الله دعاءَه؛ ومن ذلك:

أ) ما أورده ابنُ القيِّم في الجواب الكافي عن ابن أبي الـــدُّنيا في كتـــاب المجانين في الدُّعاء عن الحسن البصريّ عن أنس أنَّ رجلاً من أصحاب النَّبيِّ ﷺ يكنَّى أبا معلق وكان تاجراً، فعرض له لصٌّ وأراد قتلَه وأخذ ما معه من المال، فطلب أبو معلق من اللِّصِّ أن يذرَه يصلِّي، فلما كان في آخر سجدة دعا ربَّـــه فقال: (يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعَّال لما تريد أسألك بعزِّك الذي لا يـــرام وبملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شرَّ هـــذا اللِّصّ، يا مغيث أغثني). فاستجاب الله دعاءَه وصرف عنه اللِّصَّ.

---

(١) انظر: تصحيح الدعاء، ص٤٧٠.

قال الحسن في رواية عن أنس: مَن دعا بهذا الـــدُّعاء اســـتجيب لـــه مكروباً كان أو غير مكروب[١][٢].

يقول ابن القيم في الجواب الكافي: وكثيرا ما نجد أدعية دعا بها قـــوم فاستجيب لهم فيكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله علـــى الله أو حسنه تقدمه منه جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكرا لحسنته أو صـــادف الدعاء وقت إجابة ونحو ذلك فأجيبت دعوته فيظن الظآن أن السر في لفظ ذلك الدعاء فيأخذه مجردا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلـــك الـــداعي، وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا في الوقت الذي ينبغي على الوجـــه الذي ينبغي فانتفع به فظن غيره أن استعمال هذا الدواء مجـــردا كـــافي في حصول المطلوب كان غالطا[٣].

---

(١) تخريج القصة: أوردها هبة الله اللالكائيّ في كرامات الأولياء (١/١٥٥)، والحافظ ابن حجر في الإصابة (٧/٣٧٩)، وسكت عن إسنادها ونسبها لابن أبي الدنيا في مجابي الدعوة بإسناده عن أنس بن مالك، وكذلك ممَّا يضعف الحديث أنَّ الحسن البصريَّ عنعن الحديث عن أنس ولم يصرِّح بالسَّماع، ولم أقف على مَن صحَّح إسنادَ هذا الأثر، وكتب ابنُ أبي الدُّنيا من مظانّ المعضل وجميع رواياتها تدور على الكلبي غير صاحب التفسير، وهو مجهول.

(٢) وكذلك ما ورد عن العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه حيث قال: (يا علي يا عظيم يا حليم يا كريم) فأجاز البحر ومن معه. انظر منهاج السنة (٨/١٥٥). وكذلك ما ورد عن إبراهيم بن أدهم؛ حيث هاج بهم البحرُ فقال: (يا حيّ حين لا حيّ، ويا حيّ قبل كلّ حيّ، ويا حيّ بعد كلّ حيّ). فسكنت الرّيح وهدأ البحر من ساعته. انظر سير أعلام النبلاء (٧/٣٩١).

(٣) الجواب الكافي (١/٧). وكذلك ما ورد عن العلاء بن الحضرمي من دعائه: يا عليّ يا حليم يا عظيم.

ب- دعاء الحسن في التَّهنئة بالمولود: (شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ أشدَّه ورزقت برّه)[١]. فالحديث لا يصـــحُّ عـــن الحســـن البصريِّ؛ إذاً فليس من السُّنَّة التزامُ هذا الدُّعاء.

١٣- اللَّحنُ في ألفاظ الدُّعاء وعدم الإعراب: وقد عَـــدَّ صـــاحبُ التَّبصرة من الآداب أن يكون الدُّعاء صحيحَ اللَّفظ؛ لأنَّ اللَّحـــنَ يتضـــمَّن مواجهة الحقِّ بالخطأ.

وأنشد بعضهم:

ينـــادي ربـــه بـــاللحن ليـــت كـــذاك إذا دعـــاه لا يجيـــب[٢]

قال ابنُ الصَّلاح في فتاويه: (الدُّعاءُ الملحون ممَّن لا يستطيع غـــيره لا يقدح في الدُّعاء ويعذر فيه)[٣] ا.هـــ.

أمَّا حديث: (إنَّ اللهَ لا يَقبل دعاءً ملحوناً) فإنَّه لا يُعرَف له أصل[٤].

وقد سئل شيخُ الإسلام عن رجل دعا دعاءً ملحوناً فقال له الرجل: ما يقبل الله دعاء ملحوناً. فأجاب: مَن قال هذا القول فهو آثمٌ مخالفٌ للكتاب والسُّنَّة ولما كان عليه السَّلَفُ؛ وأمَّا مَن دعا اللهَ مخلصاً له الدِّين بدعاء جائز سمعه الله وأجاب دعاءه؛ سواءً كان معرباً أو ملحوناً، والكلام المذكور لا أصلَ له؛ بـــل يَنبغـــي للدَّاعي إذا لم تكن عادتُه الإعراب أن لا يتكلَّفَ الإعراب.

---

(١) مسند عليّ بن الجعد (٣٣٩٨/١٤٤٨)، الكامل (١٠١/٧)، ابن أبي الدنيا العيال (٢٠١/٣٦٥/١)، إسناده ضعيف من أجل الهيثم بن الجماز، قال عنه أحمد: منكر الحديث، وله إسناد آخر عن الحسن ولكنَّه ضعيف. أخرجه الحافظ هبة الله بن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧٦/٥٩، وإسنادُه ضعيف من أجل كلثوم بن جوشن. انظر موقع ملتقى أهل الحديث على الشبكة العنكبوتيَّة العالمية.

(٢) الأزهية، ص٦٧.

(٣) فتاوى ابن الصلاح (١٩٨/١)، طبعة دار المعرفة.

(٤) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، ص٦٢.

قال بعضُ السَّلَف: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع. وهذه كما يكـــره تكلُّف السَّجع في الدُّعاء؛ فإذا وقع بغير تكلُّف فلا بأس به؛ فإنَّ أصلَ الـــدُّعاء من القلب، واللِّسان تابعٌ للقلب. ومَن جَعَل همَّتَه في الدُّعاء تقويمَ لسانه أضعف توجُّهَ قلبه؛ ولهذا يدعو المضطرُّ بقلبه دعاءً يفتح عليه لا يحضره قبل ذلك؛ وهذا أمر يجيده كلُّ مؤمن في قلبه، والدُّعاءُ يَجوز بالعربيَّة وبغـــير العربيَّـــة، والله- سبحانه- يَعلم قصدَ الدَّاعي ومرادَه، وإن لم يقوِّم لسانه فإنَّه- سبحانه- يعلـــم ضجيجَ الأصوات باختلاف اللُّغات على تنوُّع الحاجات)[١].

١٤- الدُّعاءُ بالألفاظ الأعجميَّة غير معروفة المعنى: كأن يَختـــرع كلمة[٢] أو دعوة أعجمية.

والدَّليلُ قولُه تعالى: ﴿**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْـــرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْـــمٌ إِنِّـــي أَعِظُـــكَ أَنْ تَكُـــونَ مِـــنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[٣].

وجهُ الدِّلالة: أنَّ معناها أن أسألك ما ليس لي بجواز سؤاله علم. فدلَّ ذلك على أنَّ العلمَ بالجواز شرطٌ في جواز السُّؤال؛ فما لا يعلم جوازُه لا يجوز سؤالُه، وأكَّدَ الله تعالى ذلك بقوله: ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾.

واللَّفظُ الأعجميُّ غيرُ معلوم الجواز؛ فيكون السُّؤالُ به غـــيرَ جـــائز؛ ولذلك منع مالك الرّقى به[٤].

---

(١) الفتاوى (٢٢/٤٨٨-٤٨٩).

(٢) كلمة (لغسلمون) يكتبها بعض الناس بعد العصر آخر جمعة من رمضان من الحفظة وقد كرهها كثير من الفضلاء لعجمتها.

(٣) سورة هود، آية: ٤٦.

(٤) الفروق للقرافي.

١٥- عدم اختيار الألفاظ المناسبة أثناء الدعاء:

ومن صوره: أن يقول: اللهمَّ ارحمني يا شديد العقاب، أو اللهم عليك بالكفار يا غفار يا أرحم الراحمين. وإذا أراد غشيان النساء مثلا فلا يصرح؛ بل يقول: (اللهم متعني بأعضائي وجوارحي).

١٦- استبدال لفظه في الدعاء الوارد بغير الوارد:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري غليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهم آخر ما تتكلم به**».

قال: فردَّدتُها على النَّبيِّ ﷺ فلمَّا بلغتُ: «**اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت**» قلت: «ورسولك». قال: «**لا؛ وبنبيِّك الذي أرسلت**». متفق عليه[1].

فعلى الدَّاعي إذا دعا بالمأثور أن يلتزم به ولا يخلطه بغيره.

قال النووي:

اختار المازري وغيره أنَّ سببَ الإنكار أنَّ هذا ذكرٌ ودعاءٌ؛ فَينبغي فيه الاقتصارُ على اللَّفظ الوارد بحروفه، وقد يتعلَّق الجزاءُ بتلك الحروف، ولعلَّه أوحى إليه ﷺ بهذه الكلمات؛ فَينبغي أداؤها بحروفها. وهذا القول حسن[1].

---

(١) رواه البخاري باب فضل من بات على وضوء (٩٧/١)، ومسلم باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع (٢٠٨١/٤).

(١) صلاح الأمة (١٦٣/٢). وانظر شرح مسلم (٥٦٣/٥).

ويأتي في هذا السياق والمعنى دعاء الاستخارة؛ حيث ذكر جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يعلِّمهم دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن؛ لذا ذكر بعضُ أهل العلم في معنى تشبيهه بـــالقرآن أن يذكر ألفاظَ الدُّعاء والاستخارة كما يذكر ألفاظَ القرآن؛ سواءً بسواء؛ قال الحافظُ ابنُ حجر: (وقال ابن أبي جمرة: التَّشبيه في تحفظ حروفه وترتيـــب كلماته ومنع الزيادة والنقص)[١].

١٧- الدعاء بلفظ اللعن:

إنَّ لفظَ اللَّعن قد يُراد به نفس لفظ اللَّعن وقد يراد به عبارات السَّـــبِّ والشَّتم، كما أنَّ لفظَ اللَّعن قد يراد به معناه الأصليُّ الـــذي هـــو الطَّـــردُ والإبعاد عن رحمة الله تعالى، وقد يراد به مُطْلَقُ السَّبِّ والشَّـــتم والتَّـــنَقُّص والدُّعاء على الشَّخص[٢].

وهناك أنواع من اللَّعن تُخرج صاحبَها من الملَّة؛ ومن ذلك:

لعن الله- سبحانه وتعالى- أو أحد من ملائكة ورسوله ودينه؛ فهـــذا كلُّـــه موجبٌ لردَّة صاحبه وكفره؛ ومن أدلَّة ذلك قولُه تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّـــهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا**﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيمن سبَّ اللهَ تعالى: (فإن كان مســـلماً وَجَبَ قتلُه بالإجماع؛ لأنَّه بذلك كافرٌ مرتدٌّ وأسوأ من الكافر)[٣].

وأمَّا سبُّ نبيِّنا محمد ﷺ فقد قال الإمام أحمد: (كلُّ مَن شتم النَّبيَّ ﷺ وانتقصه مسلماً كان أو كافراً فعليه القتل)[٤].

---

(١) فتح الباري، (١١/١٨٤).
(٢) أحكام لعن الكافرين وعصاة المسلمين، ص١٠.
(٣) الصارم المسلول، ص٢٩٠.
(٤) أحكام أهل الذمة (٣/١٣٥٨).

والحكمُ في سبِّ سائر الأنبياء كالحكم في سبِّ نبيِّنا محمَّد ﷺ، وكذلك الحكم في سبِّ الملائكة أو أحد منهم؛ ذكر ذلك القاضي عياض[١].

ومن أنواع اللَّعن: لعنُ المعيَّن من عصاة المسلمين.

قال ابنُ العربيّ المالكيّ: (فأمَّا العاصي المعيَّن فلا يجوز لعنُه اتِّفاقاً)[٢].

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية: (وأما الفاسق المعين فلا تنبغي لعنته)[٣].

وقال الغزاليُّ: (إنَّ لعنَ فاسق بعينه غيرُ جائز؛ وعلى الجملة ففي لعـــن الأشخاص خطرٌ فليجتنب، ولا خطرَ في السُّكوت عن لعن إبلـــيس مـــثلاً فضلاً عن غيره)[٤].

وقال النَّوويّ: (وأمَّا المعيَّن فلا يجوز لعنه)[٥].

- ومن الأدلة على ذلك:

١- ما رواه عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أنَّ رجلاً كان علـــى عهد النَّبيِّ ﷺ كان اسمُه عبد الله وكان يُلَقَّبُ حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشَّراب، فأتى به يوماً فأمر به فجلـــد، فقال رجل من القوم: اللهمَّ العنْه ما أكثر ما يؤتى به. فقال الـــنبي ﷺ: «**لا تلعنوه فوا الله ما علمت، إنَّه يحبُّ الله ورسوله**»[١].

---

(١) الشفا (١٠٩٧/٢).
(٢) أحكام القرآن (٧٥/١).
(٣) مجموع الفتاوى (٧٥/٦).
(٤) إحياء علوم الدين (١١٣/٣).
(٥) شرح مسلم للنووي (٣٣٤/١١).
(١) رواه البخاري في كتاب الحدود برقم (٦٧٨٠).

وفي رواية: «**لا تكونوا عوناً للشَّيطان على أخيكم**»[١].

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: فقد نهى النبيُّ ﷺ عن لعنة هذا المعيَّن الـــذي كان يُكثر شرب الخمر معلِّلاً ذلك بأنَّه يحبُّ الله ورسوله مع أنَّه ﷺ لعن شارب الخمر مطلقاً؛ فَدَلَّ ذلك على أنَّه يجوز أن يُلعنَ المطلق ولا تجوز لعنة المعيَّن الذي يحب الله ورسوله، ومن المعلوم أنَّ كلَّ مؤمن فلابدَّ أنَّه يحبُّ الله ورسوله[٢].

وقال ابنُ حَجَر: (يُستفاد من ذلك منعُ الدُّعاء على العاصي بالإبعـــاد عن رحمة الله كاللَّعن[٣].

٢- وكذلك ذكروا في إجازة لعن كلِّ مَن وقع في معصية جاء الـــنصُّ بلعن فاعلها يفتح الباب للعن كثير من المسلمين، ويروِّض الألسنةَ والأسماع على إلف هذا الخلق المشين ويكثر التَّسابّ والتَّشاتم والتَّلاعن بين المسلمين؛ الأمر الذي يتعارض مع مقاصد الإسلام في إفشاء التَّحابب والمودَّة والبعـــد عن أسباب الضَّغينة والقطيعة وسوء الظَّنِّ)[٤].

٣- إنَّ إطلاقَ المسلم لسانه بتعيين بعض إخوانه المسلمين باللَّعن يخرجه من عداد المؤمنين الذي ورد الثَّناء عليهم بابتعادهم عن الاتِّصاف بهذا الخلق القبيح- وهو كثرة اللَّعن- كما في الحديث: «**ليس المـــؤمن باللعـــان ولا الطعان ولا الفاحش البذيء**»[٥].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحدود برقم (٦٧٨١).
(٢) منهج السنة (٤/٢٨٤).
(٣) فتح الباري (١٢/٧٩).
(٤) أحكام لعن الكافرين، ص٥٥.
(٥) أخرجه الترمذي (٤/٣٥٠)، وقال حديث حسن غريب.

كما يُحرم من أن يكون شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة؛ كما في الحديث: «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**»[(١)].

وأمَّا ما ورد عن رسول الله ﷺ من لعن لبعض المسلمين المعيَّنين فقد ورد عنه- صلوات الله وسلامه عليه- أنَّه قال: «**اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة**»[(٢)].

وكذا وَرَدَ عند مسلم من حديث عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلَّماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه فلعنهما وسبَّهما، فلمَّا خرجا قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان. قال: «**وما ذاك**»؟ قلت: لعنتَهما وسببتَهما. قال: «**أوما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللهمَّ إنَّما أنا بشر، فأيّ المسلمين لعنتُه أو سببتُه فاجعله له زكاةً وأجراً**»[(٣)].

وعنده أيضاً من حديث جابر بن عبد الله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّما أنا بشر، وإنِّي اشترطتُ على ربِّي- عَزَّ وجَلَّ- أيّ عبد من المسلمين سببتُه أو شتمتُه أن يكون ذلك له زكاةً وأجراً**».

وأخرج أيضاً حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كانت عند أمِّ سليم يتيمة- وهي أم أنس- فرأى رسولُ الله ﷺ اليتيمةَ فقال: «**أنت هيه؟ لقد كبرت لا كبر سنُّك**». فَرَجَعت

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٠٦)، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

(٢) البخاري باب قول النبي ﷺ: «**من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة**» برقم ٦٠٠٠ (٥/٢٣٣٩)، مسلم باب من لعنه النبي ﷺ أو سَبَّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة برقم ٢٦٠١ (٤/٢٠٠٧).

(٣) مسلم، حديث، باب (من لعنة النبي ﷺ...) ٢٦٠٠ (٤/٢٠٠٧).

اليتيمةُ إلى أمِّ سليم تبكي، فقالت أمُّ سليم: مالك يا بنيَّة؟ قالت الجارية: دعا عليَّ نبيُّ الله ﷺ أن لا يَكبر سنِّي، فالآنَ لا يَكبر سنِّي أبداً. أو قالت: قَرْني. فخرجت أمُّ سليم مستعجلةً تلوث خمارها حتَّى لقيت رسولَ الله ﷺ فقال لها رســـول الله ﷺ: مالك يا أمَّ سليم؟ فقالت: يا نبيَّ الله أدعوت على يتيمتي؟ قال: «**وما ذاك يا أم سليم**»؟ قالت: زَعَمَتْ أنَّك دعوتَ ألَّا يكبر سنُّها ولا يكبر قرنُهـــا. قـــال: فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «**يا أمَّ سليم، أما تعلمين أنَّ شرطي على ربِّـــي أنِّي اشترطتُ على ربِّي فقلت: إنَّما أنا بشر أرضى كمـــا يرضـــى البشـــر وأغضب كما يغضب البشر؛ فأيّما أحد دعوتُ عليه من أمَّتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاةً وقربةً بها منه يوم القيامة**»[(١)].

١٨- تكثير الألفاظ بلا حاجة:

والتَّطويلُ في العبارات والتَّكَلُّف في ذكر التَّفاصيل؛ كأن يقـــول: ربِّ ارحمني ووالدي ولعماتي ولخالاتي ولأعمامي ولأخوالي ونحو ذلك، ويكفي أن يقول اللَّهمَّ اغفر لي ولوالديَّ وللمسلمين والمسلمات. فيدخل فيه مـــن ذكرهم؛ لحديث عائشة- رضي الله عنها- قالت: «كـــان رســـول الله ﷺ يعجبه جوامعُ الدُّعاء ويدع ما بين ذلك»[(٢)].

أي يحبُّ الدُّعاء بالكلمات التي تجمع خيري الدُّنيا والآخرة، وتجمـــع الأغراض الصَّالحة، وقيل: هي ما كان لفظُها قليلاً ومعناها كثيراً، ويترك غير الجوامع من الدُّعاء»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم باب (من لعنه النبي ﷺ) برقم ٢٦٠٣ (٤/٢٠٠٩)..

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم (١٤٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٢٥).

(٣) الفتح الرباني (٢٦٩/٤١).

وعن سعد بن أبي وقَّاص- رضي الله عنه- أنَّه سمع ابناً له يـــدعو وهـــو يقول: اللهمَّ إنِّي أسألك الجنَّةَ ونعيمها وإستبرقها ونحواً من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها. فقال: يا بنيَّ إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكون قوم يعتدون في الدعاء**». وإيَّاك أن تكون منهم؛ إنَّك إذا دخلتَ الجنة أعطيتَ ما فيها من الخير، وإن أعذتَ من النار أعذتَ ممَّا فيها من الشَّرِّ[(١)].

وعن عبد الله بن مغفل- رضي الله عنه- أنَّه سمع ابنَه وهو يقـــول في دعائه: اللهمَّ إنِّي أسألك القصر الأبيض عن يمين الدَّاخل إلى الجنَّة. فقال: (يا بنيَّ سل اللهَ الجنَّةَ وتعوَّذ به من النَّار؛ فإني سمعت رســـول الله ﷺ يقـــول: «**يكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور**»[(٢)].

١٩- الاقتصارُ على طلب الدُّنيا في دعائه واستدامته ذلك؛ قال ابـــنُ كثير: ذَمَّ الله مَن لا يسأله إلَّا في أمر دنياه وهو معرض عن أخراه؛ وذلـــك عند قوله تعالى: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَـــهُ فِـــي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**﴾ [البقرة: ٢٠٠] أي من نصيب ولاحظ. وتضمن هـــذا الذم التنفير عن التشبيه بمن هو كذلك قال سعيد بن جبير عن ابن عبـــاس: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف فيقولون: اللـــهم اجعلـــه عـــام غيث وعام خصب وعام ولاد حســـن لا يـــذكرون مـــن أمـــر الآخـــرة شيئا فأنزل الله فيهم ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُـــولُ رَبَّنَـــا آتِنَـــا فِـــي الـــدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ**﴾ وكـــان يجـــيء بعـــدهم قـــوم آخـــرون

(١) سبق تخريجه ص٥٣.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٨٧/٤)، صحيح ابن حبّان، باب إخباره ﷺ عمَّا يكون في أمَّته من الفتن والحوادث، (١٦٦/١٥)، والحاكم في مستدركه (٣٥/٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

من المؤمنين فيقولون: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١] فأنزل الله: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [البقرة: ٢٠٢] ولهذا مدح من يسأله للدنيا والآخرة فقال: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هنيء وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين.

وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء ففي صحيح البخاري: عن أنس بن مالك قال كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»(١).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أنس بن مالك قال: كان أكثر دعوة يدعو بها رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٠٣/١). دار عالم الكتب، الرياض ١٤١٦هـ.

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٥٢٢).

المبحث الثالث

الاعتداء في الهيئة والأداء

وضابطه أن يدعو بهيئة وكيفية جاءت السنة بخلافها.

ومن ذلك:

١- أن يدعو ربه دعاءً غير متضرع ولا مستكين[١].

قال ابن القيم: (وهذا من أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضارع الـــذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته فمن لم يسأل سؤال مسكين متضرع خائف فهو معتدٍ)[٢].

ومن صور ذلك:

أ- رفع الصوت والصياح: قال ابن جريج[٣] (من الدعاء والاعتـــداء، يكره رفع الصوت والثناء والصياح بالدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة)[٤].

وقال الإمام أحمد بن المنير الإسكندراني في حاشـــيته علـــى تفســـير الكشاف عند قوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُـــمْ تَضَـــرُّعًا وَخُفْيَـــةً إِنَّـــهُ لَـــا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾. ما نصه: (وحسبك في تعيين الإسرار في الدعاء اقترانـــه بالتضرع في الآية فالإخلال به كالإخلال بالضراعة إلى الله في الـــدعاء وإن دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى فكذلك دعاء لا خفيـــة ولا

---

(١) الفتاوى (١٥/٢٤).

(٢) بدائع الفوائد (٣/٥٢٤).

(٣) ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام العلامة له كنيتان أبو الوليد وأبو خالد، أول من صنف الكتب، حدث عن عطاء ولزمه سبع عشرة سنة وأخذ عنه الأوزاعي والسفيانان والحمادان وكان من أحسن الناس صلاة، توفي سنة ١٥٠هـــ، انظر تاريخ بغداد(١٠ | ٤٠٠).

(٤) تفسير الطبري (١/٢٤٩).

وقار يصحبه وترى كثيرًا من أهل زمانك يعتمدون الصراخ والصـــياح في الدعاء خصوصا في الجوامع حتى يعظم اللغط ويشتد وتستدّ المسامع ويهتـــز الداعي بالناس ولا يعلم أنه جمع بين بدعتين: رفع الصوت في الـــدعاء وفي المسجد، وربما حصلت للعوام حينئذ رقة لا تحصل مع خفـــض الصـــوت ورعاية سمت الوقار وسلوك السنة الثابتة بالآثار، وما هي إلا رقـــة شـــبيهة بالرقة العارضة للنساء والأطفال ليست خارجة عن صميم الفؤاد لأنها لـــو كانت من أصل لكانت عند إتباع السنة في الدعاء وفي خفض الصوت بـــه أوفر وأوفى وأزكى)[١].

قال الطرطوشي: اعلموا أرشدكم الله أن الله أمر بإخفاء الدعاء وأثـــنى على من أخفاه فقال: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾ [مريم: ٢-٣].

وعن أبي موسى الأشعري قال: كان النبي ﷺ في غزاة فأشرفوا علـــى واد فجعل الناس يكبرون ويهللون ويرفعون فقال النبي ﷺ: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا**»[٢]. إنـــه معكم، فإن قال قائل: ماذا أراد بالإخفاء؟ هل أراد إخفاءه عن الناس وإن جهر به في الخلوات أو أمر بالهمس بالشفتين أو أراد إخفاءه في نفسه؟ .

فالجواب: إن قوله (**نداء خفيا**) الظاهر أنه أراد الهمس بالشفتين ويقال: (أخفى دعاءه عن قومه خاليا في جوف الليل، وناداه بقلبه ســـرا في نفســـه وقيل مخلصا فيه لم يطلع عليه إلا من ناجاه»[٣].

(١) الكشاف (١٠٦/٢).

(٢) البخاري، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير برقم ٢٨٣٠ (١٠٩١/٣)، مسلم، باب استحباب خفض الصوت بالذكر رقم ٢٧٠٤ (٢٠٧٦/٤).

(٣) الدعاء المأثور وآدابه للطرطوشي، ص٩١.

ويقول شيخ الإسلام في إخفاء الدعاء فوائد عديدة[١]:

أحدهما: أنه أعظم إيمانا لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي.

ثانيهما: أنه أعظم في الأدب والتعظيم لأن الملوك لا تُرفع الأصـــوات عندهم ومن رفع صوته لديهم مقتوه، ولله المثل الأعلى فإذا كـــان يســـمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت.

وثالثهما: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبـــه ومقصوده فإن الخاشع الذليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد أنكر قلبـــه وذلت جوارحه، وخشع صوته حتى أنه ليكاد تبلغ ذلته وسكينته وضـــراعته إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق وقلبه يسأل طالبا مبتهلا ولســـانه لشدة ذلته ساكتا وهذا الحال لا تأتي مع رفع الصوت بالدعاء أصلا.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء فإن رفع الصـــوت يفرقه فكلما خفض صوته كان أبلغ في تجريد همته وقصده للمدعو سبحانه.

سادسها: وهو من النكت البديعة جدًا. أنه دال على قـــرب صـــاحبه للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله عز وجل: ﴿**إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾ فلما استحضر القلب قرب الله عز وجل وأنه أقرب إليه من كل قريب أخفى دعاءه ما أمكنه وقد أشار النبي ﷺ إلى المعنى بعينه بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابة أصـــواتهم بـــالتكبير وهم معه في السفر فقال: «**أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصـــم**

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٥).

ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلتـــه»[1] وقد قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦] وهـــذا القرب من الداعي هو قرب خاص ليس قربا عاما من كل أحد فهو قريب من داعيه وقريب من عابديه وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

وقوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعـــراف: ٥٥] فيـــه الإرشاد والإعلام بهذا القرب.

وسابعها: إنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يمل اللسان وتضعف قواه، وهذا نظير من يقرأ ويكرر فإن صوته لا يطول له، بخلاف من خفض صوته.

وثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد فلا يحصل على هذا تشويش ولا غـــيره وإذا جهر به فرطت له الأرواح البشرية ولابد وما نعته وعارضته ولو لم يكن إلا أن تعلقها به يفرغ عليه همته، فيضعف أثر الدعاء ومن له تجربة يعرف هذا، فإذا أسر الدعاء أمن من هذه المفسدة.

وتاسعها: أن أعظم النعمة الإقبال والتعبد ولكل نعمة حاســـد علـــى قدرها دقت أو جلت ولا نعمة أعظم من هذه النعمة فإن أنفس الحاســـدين متعلقة بها وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد وقـــد قـــال يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام: ﴿**لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَـــى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا**﴾ [يوسف: ٥] وكم من صاحب قلب وجميعه

(١) سبق تخريجه.

وحال مع الله تعالى قد تحدث بها وأخبر بها فسلبه إياها الأغيار ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله تعالى ولا يطلع عليه أحـــد، والقـــوم أعظم شيئا كتمانا لأحوالهم مع الله وما وهب الله من محبته والأنـــس بـــه وجميعه القلب ولاسيما فعله للمهتدي السالك فإذا تمكن أحدهم وقـــوي في قلبه وثبت أصول تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في قلبه –بحيث لا يخشى عليه من العواصف فإنه إذا أبدى حاله مع الله تعـــالى ليقتدى به ويؤتم به– لم يبال وهذا باب عظيم النفع إنما يعرفه أهله.

وإذا كان الدعاء المأمور بإخفائه يتضمن دعاء الطلب والثناء والمحبة والإقبال على الله تعالى فهو من عظيم الكنوز التي هم أحق بالإخفاء عن أعين الحاسدين.

ب– اتخاذ الدعاء مادة للمزح والتندر: إذ إن الدعاء عبادة كمـــا ورد ذلك عن النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[1] فكيف يليق بمؤمن أن يتخـــذها مادة للمزح والتندر ولأن هذه الحالة أبعد ما تكون عن التضرع والخشـــوع والله يقول: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقد تدخل في باب الاستهزاء بالدين وهنا الخطر الأكبر.

ج– الدعاء مع النعاس أو فرط الشبع أو مدافعة الأخبثين أو ملامســـة النجاسة أو أثناء كشف العورة وغيرها من الحالات التي لا تناسب التقرب.

د– التلحين والتغني والتطريب والتمطيط في أداء الدعاء، لأنـــه ينـــافي الضراعة والابتهال، وهذا مما ابتلينـــا في زماننـــا هـــذا فينـــدر أن نجـــد إماما في القنوت خاصة يبتعد عن مثـــل هـــذا التعـــدي، لأنـــه يـــرى أن هـــذا الأداء ادعـــى في التـــأثير في قلـــوب النـــاس ممـــا يحصـــل بـــه

(١) سنن أحمد، مسند النعمان بن بشير برقم ١٨٧٥٩، (٤/٢٧١)، سنن الترمذي، سورة البقرة برقم ٢٩٦٨ (٥/٢١١).

البكاء وأنه إذا سلك غير ذلك فإنه قد لا يؤثر فيهم، ومما لا شك فيه أن الغايـــة الحسنة لا تجوز الوسيلة المخترعة على غير هدى. فالخير كل الخير في اتباع هدي النبي ﷺ في ذلك والبعد عن مثل هذا الاعتداء لأنه قد يمنع الإجابة.

قال الكمال ابن الهمام[١]: (ما تعارفه الناس في هـــذه الأزمنـــة مـــن التمطيط والمبالغة في الصياح والاشتغال بتحريرات النغم إظهـــارا للصـــناعة النغمية لا إقامة للعبودية فإنه لا يقتضي الإجابة بل هو من مقتضيات الرد... إلى أن قال: ولا أرى أن تحرير النغم في الدعاء كما يفعله القـــراء في هـــذا الزمان يصدر ممن يفهم معنى الدعاء والسؤال وما ذاك إلا نوع لعب فإنه لو قدر في الشاهد سائل حاجة من ملك أدى سؤاله وطلبه بتحرير النغم فيه من الخفض والرفع والتطريب والترجيح كالتغني نسب البتة إلى قصد الســـخرية واللعب إذ مقام طلب الحاجة التضرع لا الـــتغني، فاســـتبيان إن ذاك مـــن مقتضيات الخيبة والحرمان).اهـــ[٢].

* الإطالة المملة في دعاء القنوت والتي تشق على الناس وتثقل عبادتهم فيؤمنون وقلوبهم قد كلت وسئمت، وهذا من فتنة النـــاس عـــن العبـــادة وتثقيلها عليهم وإذا كان النبي ﷺ قد أنكر على معاذ إطالة قراءة القرآن في الصلاة فكيف بإطالة غيره.

---

(١) الكمال بن الهمام/ هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود البواسي ثم الإسكندري المعروف بابن الهمام الحنفي عالم فقيه. سمع من والده ومن سراج الدين عمر بن علي الشهير بـــ"قاري الهداية" والجمال الحنبلي وسمع منه شمس الدين محمد الشهير بـــ"ابن أمير حاج جلي" وغيره، كان نظارا فارسا في البحث فروعيا أصوليها محدثا مفسرا حافظا نحويا كلاميا منطقيا جدليا، من تصانيفه فتح القدير، شرح الهداية والتحرير في الأصول وغير ذلك توفي سنة ٨٦١هـــ، موسوعة الأعلام (٤٨٢/١).

(٢) فيض القدير (٢٢٩/١).

* وعند التأمل في قنوته ﷺ وكذا ما ورد من القنوت عـــن أصـــحابه رضوان الله عليهم نجده لا يبلغ معشار ما يدعو به كثير من الأئمـــة اليـــوم وكان السلف رحمهم الله يحددون القنوت بأشياء يسيره كما قال إبـــراهيم النخعي رحمه الله (يقام في القنوت قدر إذا السماء انشقت)[١]. وبهذا القدر حدد الحنفية مقدار القنوت[٢].

* وكان الحسن البصر رحمه الله يقنت بالقنوت الوارد عن عمـــر بـــن الخطاب رضي الله عنه وهو قوله: (اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ولا نكفرك ونؤمن بك ونخلع من يفجرك. اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليـــك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحـــق. اللهم عذب الكفرة الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رســـلك ويقـــاتلون أولياءك ولا يؤمنون بوعدك وخالف بين كلمتهم وألق في قلوبهم الرعب وألق عليهم رجزك وعذابك إله الحق. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمســـلمين والمسلمات وأصلح ذات بينهم وألف بين قلوبهم واجعل في قلـــوبهم الإيمـــان والحكمة وثبتهم على ملة رسول الله ﷺ وأوزعهم أن يوفوا بعهـــدك الـــذي عاهدتم عليه وانصرهم على عدوك وعدوهم إله الحق واجعلنا منهم)[٣].

ثم يخر الحسن البصري بعد هذا الدعاء ساجدا وكان لا يزيد عليه شيئا وكان بعض من يسأله يقول: يا أبا سعيد أيزيد على هذا شيئا من الصـــلاة على النبي ﷺ والدعاء والتسبيح والتكبير فيقول: لا أفاكم ولكني سمعـــت أصحاب رسول الله ﷺ لا يزيدون على هذا شيئا وكان يغضـــب إذا أرادوه على الزيادة[٤].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٢٢/٣)، وابن أبي شيبة (٣٠٨/٢).
(٢) المبسوط (١٦٥/١)، بدائع الصنائع (٤٠٦/١).
(٣) سبق تخريجه ص٥٣.
(٤) مصنف عبد الرزاق باب القنوت (١١٦/٣).

* إذاً فالمشروع في القنوت عدم الإطالة، أما إن كانت إطالـــة لحالـــة عارضة أو نادرة أو كان في جماعة محصورين يطيلون أو يرضون بالتطويـــل فلا بأس، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (ولكن إذا كان إماما فلا ينبغي أن يطيل الدعاء بحيث يشق على من وراءه أو يملهم إلا أن يكونوا جماعـــة محصورين يرغبون ذلك)[١].

* تعفير الوجه في التراب أثناء الدعاء وهذه هيئة خاصة مرتبطة بعبادةٍ لم يرد دليل على مشروعيتها[٢].

* تكلف البكاء والشهقة والخشوع واضطراب الأعضـــاء خاصـــة في القنوت ولأن القنوت جزء من أجزاء الصلاة استلزم الأمر معرفـــة حكـــم البكاء في الصلاة حتى يتضح حكم البكاء في القنوت وقد ذكر الأحنـــاف والمالكية والحنابلة أن البكاء في الصلاة من خشية الله تعالى لا يبطل الصلاة مطلقا. وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: إن هذا لـــيس مـــن جنس الكلام فلا يمكن قياسه على الكلام[٣].

*** قد استدلوا ما يلي:**

١- عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «**رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء**»[٤].

(١) الشرح الممتع (٣٩/٤).
(٢) وهو رأي الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله خلافا لشيخ الإسلام ابن تيمية، انظر مجلة البيان العدد (١٦٠) ص٥٥.
(٣) مجموع الفتاوى (٦٢٢/٢٢).
(٤) أبو داود (٢٨٠/١)، والنسائي (١٤/٣)، وقال ابن حجر في الفتح إسناده قوي (٢٦٣/١).

٢- عن عبد الله بن شداد قال: (سمعت نشيج عمـــر وأنـــا في آخـــر الصفوف يقرأ: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾ [يوسف: ٨٦][(١)].

والنشيج رفع الصوت بالبكاء، قال شيخ الإسلام ابن تيميـــة (وهـــذا محفوظ عن عمر ذكره مالك وأحمد وغيرهما)[(٢)].

إذاً فالراجح هو أن البكاء من خشية الله لا يفسد الصلاة لقوة الأدلـــة وصراحتها وكذلك لأن هذا البكاء ليس من جنس الكلام كما تقدم.

أما استدعاء البكاء وتطلبه من قبل بعض الأئمة والاحتجاج بحـــديث سعد بن أبي وقاص: «**فإن لم تبكوا فتباكوا**». فإن هذا مردود بأمور:

١- أن الحديث ضعيف.

٢- أنه على فرض صحة الحديث فهو في قراءة القرآن كما هو نـــص الحديث حيث قال ﷺ: «**إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا**»[(٣)] وليس في الدعاء.

ومن المعلوم أن الدعاء عبادة توقيفية، وهذا الذي وصفت ليس عليـــه دليل لا من الكتاب ولا من السنة، فتحقق أنه لا أصـــل لـــه في الشـــرع المطهر[(١)].

---

(١) صحيح البخاري، باب إذا بكى الإمام في الصلاة (٢٥٢/١).

(٢) الفتاوى (٦٢٢/٢٢).

(٣) أخرجه ابن ماجه رقم (١٣٣٧)، البيهقي في شعب الإيمان رقم (٢٠٥١)، أبو يعلى رقم (٦٨٩)، وفي إسناده أبو رافع واسمه إسماعيل بن رافع وهو ضعيف متروك.

(١) تصحيح الدعاء للشيخ د. بكر أبو زيد رحمه الله، ص١٣٤.

* الإشارة بأصبعين أثناء الدعاء: فقد نص الفقهاء علـــى أنـــه يكـــره الإشارة في الدعاء بأصبعين واستدلوا بما يلي:

١- أن النبي ﷺ رأى رجلا يدعو بأصبعين فقال: «**أحد أحد**»[(١)].

وجه الدلالة: معنى قوله: «أحد أحد» أي أشر بأصبع واحدة لأن الذي تدعو إليه واحد وهو الله تعالى، وكرر للتأكيد في التوحيد وإنما نهاه أن يشير بأصبعين لأن الدعاء يجب أن يكون أما باليدين وبسطهما على معنى التضرع والرغبة وإما الإشارة بالواحدة على معنى التوحيد والحكمة في النهي عنه أن يستعمل في التوحيد قلبه اعتقادا ولسانا، ويكون جامعا بين الفعل والقـــول والاعتقاد[(٢)].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أبصر رجلا يـــدعو بأصبعيه جميعا فنهاه وقال: «**بأحدهما باليمين**»[(٣)].

٣- وروى الطبراني في الأوسط نظر رسول الله ﷺ إلى رجـــل يشـــير بأصبعيه فقال: «**أوحد.. أوحد**»[(٤)].

---

(١) أبو داود باب الدعاء برقم ١٤٩٩ (٤٧١/١)، الترمذي برقم ٣٥٥٧ (٥٥٧/٥ وقال حسن صحيح غريب. النسائي باب (النهي عن الإشارة بأصبعين وبأي أصبع أشير؟) ١٢٧٢ (٣٨/٣).

(٢) عون المعبود (١٦٧/٣). والدعاء وأحكامه الفقهية، ص١٧٧.

(٣) مسند أبي يعلى برقم ٦٠٣٣ (٤٢١/١٠)، وأورده الهيثمي في المجمع وقال رجاله رجال الصحيح برقم ١٧٣٢٥.

(٤) أورده الهيثمي في المجمع باب ما جاء في الإشارة في الدعاء وقال رجاله رجال الصحيح برقم ١٧٣٢٦ (٢٦٣/١٠) والطبراني في الأوسط برقم ٣٥٥٠ (٣٧/٤).

السجود لأجل الدعاء:

بحيث يسجد سجودا مجردا لأجل الدعاء كهيئة سجود التلاوة والشكر وهذه صفة لم ترد عن النبي ﷺ وأما الأحاديث الواردة والتي فيها ذكر الحث على الإكثار من السجود مثل حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ: أنه قـــال سألت النبي ﷺ عن عمل يدخلني الجنة أو قال: بأحـــب الأعمـــال إلى الله، فقال ﷺ: «**عليك بكثرة السجود**»(١).

وكذلك حديث ربيعة بن مالك الأسلمي رضي الله عنه قال: كنـــت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سلني**» فقلـــت: أسألك مرافقتك في الجنة قال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»(٢).

وكذلك حديث عبادة بن الصامت أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ما مـــن عبد يسجد لله سجدة إلا كتب الله عز وجل له بها حسنة ومحا عنه بهـــا سيئة ورفع له بها درجة فاستكثروا من السجود**»(٣).

فإن المراد بالسجود هنا هو الصلاة فعبر عن كلها ببعضها فإن الشـــيء يسمى ببعضه لاسيما إذا كان بعض الشيء أهم ما فيه فالسجود أهم ما في الصلاة لما فيه من كمال الخضوع والاستكانة لله تعالى والقرب منه»(٤).

---

(١) مسلم، باب فضل السجود والحث عليه (٣٥٣/١)، برقم ٤٨٨.
(٢) مسلم، باب فضل السجود والحث عليه (٣٥٣/١)، برقم ٤٨٩.
(٣) ابن ماجه (٤٥٧/١) برقم ١٤٢٤. وقال الألباني في التعليق: صحيح.
(٤) توضيح الأحكام (١٧٦/٢).

قال النووي: فيه الحث على كثرة السجود والترغيب فيه والمـــراد بـــه (السجود في الصلاة)[١].

قال صاحب الديباج على مسلم: (إن كثرة السجود هو كنايـــة عـــن كثرة الصلاة)[٢].

قال العراقي: (وليس المراد هنا السجود المنفصل عن الصلاة كـــالتلاوة والشكر فإنه إنما يشرع لعارض وإنما المراد سجود الصلاة)[٣].

قال الشوكاني في نيل الأوطار: (وهو يدل على أن كثـــرة الســـجود مرغب فيها والمراد به السجود في الصلاة[٤].

ولا يلزم من كون السجود قربة في الصلاة أن يكون قربـــة خـــارج الصلاة. قال الفقيه أبو محمد: لم ترد الشريعة بالتقرب إلى الله تعالى بسجدة منفردة لا سبب لها، فإن القُرب لها أسباب وشرائط وأوقـــات وأركـــان لا تصلح بدونها وكما لا يتقرب إلى الله تعالى بالوقوف بعرفة ومزدلفة ورمـــي الجمار والسعي بين الصفا والمروة من غير نسك واقـــع في وقتـــه بأســـبابه وشرائطه فكذلك لا يتقرب إلى الله تعالى بسجدة منفردة)[٥].

مما سبق يتبين عدم مشروعية السجدة المفردة لأجل الدعاء لأنها هيئـــة خاصة يتعبد بها لم يرد دليل على مشروعيتها. خاصـــة إذا كانـــت ديـــدن الإنسان كلما أراد أن يدعو سجد.

---

(١) شرح مسلم (٤/٢٠٦).
(٢) الديباج على مسلم (٢/١٨٠).
(٣) فيض القدير (٥/٤٣٧).
(٤) نيل الأوطار (٤/٣٨٥).
(٥) انظر: كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث، ج١ /ص٦٠.

المبحث الرابع
الاعتداء في الدعاء المكاني

وتعريفه: التعبد لله باتخاذ أمكنة معينة تخص بالدعاء دون دليل شرعي.

إن إفراد بعض الأماكن وخصها بالذكر واتخاذ ذلك سنة راتبة ممـــا لم يرد فيه دليل، لا من الكتاب ولا من السنة فإنه يعتبر من البدع المحدثة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصـــدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض سواء كانـــت البقعة شجرة أو عين ماء أو جبلا أو مغارة وسواء قصها يصلي عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله سبحانه عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينا ولا نوعا)[١].

أولا المقابر:

الدعاء عند القبر على أقسام:

١- الدعاء لصاحب القبر وهذا سنة لفعله ﷺ.

* فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كـــان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «**الســـلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[٢].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣١٤).

(٢) مسلم، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها برقم ٩٧٤ (٢/٦٦٩).

* عن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «**السلام عليكم أهل الـــديار مـــن المـــؤمنين والمسلمين إن شاء الله بكم لاحقون فنسأل الله لنا ولكم العافية**»[١].

مما سبق يدل على استحباب زيارة القبور والسلام على أهلها والدعاء لهم.

٢- الدعاء عندها لنفسه، واعتقاد أن الدعاء عندها أفضل، يقول شيخ الإسلام (أن يتحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجـــوب منه في غيره فهذا النوع منهي عنه)[٢]. وقال في موضع آخر وما أحفـــظ لا عن صحابي ولا عن تابعي ولا إمام معروف أنه استحب قصد شـــيء مـــن القبور للدعاء عنده ولا روى أحد في ذلك شيء لا عن النبي ﷺ ولا عـــن أصحابه ولا عن أحد من الأئمة المعروفين وقد صـــنف النـــاس في الـــدعاء وأوقاته وأمكنته وذكروا فيه الآثار فما ذكر أحد منهم في فضل الدعاء عند شيء من القبور حرفا واحدا فيما أعلم فكيف يجوز والحالة هذه أن يكـــون الدعاء عندها أجوب وأفضل والسلف تنكره ولا تعرفه وتنهى عنه ولا تأمر به[٣]. وقال وقد أوجب اعتقاد استجابة الدعاء عندها وفضـــله أن تنتـــاب لذلك وتُقصد وربما اجتمع عندها اجتماعات كثيرة في مواسم معينة وهـــذا بعينه هو الذي نهى عنه النبي ﷺ بقوله: «**لا تتخذوا قبري عيدا**»[٤].

---

(١) مسلم، الباب السابق برقم ٩٧٥ (٦٧١/٢).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٣٧).

(٣) المصدر السابق، ص٣٦٨.

(٤) أبو داود، باب زيارة القبور ٢٠٤٢ (٦٢٢/١)، وقال الألباني في التعليق صحيح. مسند أحمد برقم ٨٧٩٠ (٣٦٧/٢).

٣- دعاء صاحب القبر من دون الله وهذا شرك أكبر مخرج من الملـــة لأنه قد صرف نوعا من أنواع العبادة لغير الله. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَدْعُ مِـــنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِـــنَ الظَّـــالِمِينَ**﴾ [يونس: ١٠٦].

فهذه الآية دلت على النهي عن أن يتوجه أحد إلى غير الله جل وعـــلا بدعاء مسألة أو دعاء عبادة وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك أعظم النهي ووجـــه الخطاب إليه بذلك مع أنه إمام المتقين وإمام الموحدين وقوله تعـــالى لنبيـــه: ﴿**فَإِنْ فَعَلْتَ**﴾ يعني إن دعوت من دون الله أحدًا وذلك لأحد موصوف بأنه لا ينفعك ولا يضرك، ﴿**فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ وهذا إذا كـــان في حـــق النبي ﷺ الذي كمل الله له التوحيد أنه إذا حصل منه الشرك فإنه يصبح ظالما ويصبح مشركا وحاشاه ﷺ من ذلك فهو تخويف عظيم لمن هو دونه ممن لم يُعصم و لم يعط العصمة من باب أولى(١).

ثانيا: الدعاء في المساجد التي فيها قبور:

فقد ثبت عن رسول الله ﷺ النهي عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من فعـــل ذلك فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**لمـــا نـــزل برسول الله طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشـــفها، فقـــال: وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أُبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا**)(٢).

---

(١) التمهيد شرح كتاب التوحيد، ص١٨٣.

(٢) البخاري، باب الصلاة في البيعة برقم ٤٢٥ (١/١٦٨)، مسلم، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد برقم ٥٣١ (١/٣٧٧).

فهو ﷺ وهو في ذلك الغم وتلك الشدة العظيمة ونـــزول سكرات الموت به لم يغفل –وهو في تلك الحال– تحذير الأمة من وسيلة من وســـائل الشـــرك وتوجيه اللعن والدعاء على اليهود والنصارى بلعنة الله لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. فالمكان المتخذ مسجدا إنما يقصد فيه عبادة الله وحده ودعاؤه لا دعاء المخلوقين فحرم ﷺ أن نتخذ قبورهم مساجد تقصد الصلاة فيها كما تقصـــد المساجد وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصد المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه والدعاء به والدعاء عنده)[1].

وهذا كله فيمن لم يقصد الدعاء في تلك المساجد لأجل صاحب القبر أما إن قصدها لأجل القبر تبركا به معتقدا أن الدعاء عنده أفضل من الدعاء في المساجد المجردة عن القبور فهو عين المشاقة والمحادة لله ورسوله ﷺ[2].

ثالثا: الدعاء في الكنائس:

إن الكنائس هي بقاع يكرهها الله ورسوله ﷺ وهي بيوت لشـــياطين الإنس والجن لما يقع فيها من الكفر بالله ورسوله والشرح بل وتنطلق منـــها المؤامرات والدسائس لمحادة الله ورسوله ﷺ. ولما فيها من التصاوير والتماثيل فكيف يستقيم دعاء المؤمن لربه والحالة هذه.

وقد ورد النهي عن الصلاة في مسجد الضرار قال تعالى: ﴿**لَـــا تَقُـــمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْـــجِدٌ أُسِّـــسَ عَلَـــى التَّقْـــوَى مِـــنْ أَوَّلِ يَـــوْمٍ أَحَـــقُّ أَنْ تَقُومَ فِيـــهِ**﴾ [التوبـــة: ١٠٨]، وكـــذلك النـــهي عـــن الـــذبح لله في مكان يُذبح فيه لغير الله أو كان يذبح فيه لغـــير الله لحـــديث ثابـــت بـــن

(١) التوسل والوسيلة (٢/١).

(٢) الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب للألباني، طبعة دار غراس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

الضحاك رضي الله عنه قال: (نذر رجل أن يذبح إبلا ببوانة فسأله النبي ﷺ فقال: «**هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**» قالوا: لا، قال: «**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**» قالوا: لا قال: «**أوفِ بنذرك فإنه لا وفـــاء بنذر في معصية الله ولا فيما لا يملكه ابن آدم**»[(١)]. لأن أمـــاكن الشـــرك والمحادة لله ورسوله لا يُتعبد فيها لله تعالى.

ولأنه قد شابه أولئك المشركين في تعظيم هذه البقاع التي تعبدون فيها بأنواع العبادات التي يصرفونها لغير الله جل وعلا –فدعاء الله وحـــده– إن كان مخلصا له– إن كان في ذلك المكان الذي يتقرب فيه لغير الله فإنـــه لا يحل ولا يجوز بل هو من وسائل الشرك ومما يُغري بتعظيم ذلـــك المكـــان وحكمه أنه محرم لأجل هذه المشابهة في الفعل فهو يدعو إلى تعظـــيم هـــذه البقاع بفعله وإن لم يقصد التعظيم. لكن قد يقول قائل: إنه جاء الإذن عن الصحابة بالصلاة في الكنيسة وقد صلى عمر رضي الله عنه في كنيسة بيت المقدس[(٢)] فالدعاء من باب أولى.

فالجواب: إن هذا الإيراد ليس بوجيه ذلك لأن نهي النبي ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار وعن الذبح بمكان يذبح فيه لغير الله إنما هو لأن صـــورة العبادة واحدة فصورة الذبح من الموحد ومن المشرك واحدة وهـــي إمـــرار السكين آلة الذبح على الموضع من البهيمة المراد ذبحهـــا وإهـــراق دمهـــا في ذلك المكان والصورة الحاصلة من الموحد ومن المشرك واحدة ولهذا فإنه لا تمييز بين الصورتين من حيث الظاهر وإن اختلفت مقاصـــدها فكـــذلك صلاة النبي ﷺ والصحابة في مسجد الضرار فيها مشابهة من حيث الصـــورة

(١) رواه أبو داود، باب ما يؤمر به من الوفاء عن النذر برقم ٢٣٣١٣ (٢/٢٥٧)، وقال الصنعاني في سبل السلام: وهو صحيح الإسناد ٤/٢١٨ دار الكتاب العربي الطبعة السابعة ١٤١٤هـــ.

(٢) انظر صحيح البخاري (٢/٢٥٠).

لصلاة المنافقين ولهذا تقع المفسدة من حيث اشتباه الصورة الظاهرية وكذلك بالنسبة للدعاء في الكنيسة فقد تتشابه صورة دعاء المسلم ودعاء النصراني إلى حد كبير.

وأما في الصلاة في الكنيسة فإن صورة الفعل مختلفة لأن صلاة النصـــارى ليست على هيئة وصورة صلاة المسلمين فيعلم من رأى المسلم يصـــلي أنـــه لا يصلي صلاة النصارى فليس في فعله إغراء بصلاة النصارى ومشاركتهم فيها[1].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الصلاة في الكنيسة وإليك الجواب:

مسألة: هل الصلاة في البيع والكنائس جائزة مع وجود الصـــور أم لا؟ وهل يقال أنها بيوت الله أم لا؟

الجواب: ليست بيوت الله وإنما بيوت الله المساجد بل هي بيوت يُكفر فيها الله وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنـــزلة أهلها وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفارة وأما الصلاة فيها ففيها ثلاثة أقوال للعلماء في مـــذهب أحمد وغيره المنع مطلقا وهو قول مالك والإذن مطلقا وهو قـــول بعـــض أصحاب أحمد والثالث وهو الصحيح المأثور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره وهو منصوص عن أحمد وغيره أنه إن كان فيها صور لم يصـــل فيها لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ولأن النبي ﷺ لم يدخل الكعبـــة حتى محا ما فيها من الصور.

وكذلك قال عمر: أنا لا أدخل كنائسهم والصور فيها وهي بمنـــــزلة المسجد المبني علـــى القـــبر ففـــي الصـــحيحين أنـــه ذكـــر للـــنبي ﷺ كنيسة بأرض الحبشة وما فيها من الحسن والتصـــاوير فقـــال: «**أولئـــك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مســـجدا وصـــوروا فيـــه**

(١) التمهيد شرح كتاب التوحيد، بتصرف ١٥٤.

تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[١]. وأمـــا إذا لم يكن فيها صور فقد صلى الصحابة في الكنيسة والله أعلم[٢].

رابعا: تتبع آثار النبي ﷺ والأنبياء المكانية للدعاء:

مثل من يذهب إلى غار حراء أو غار ثور أو مكان مولد الـــنبي ﷺ أو مبرك ناقة النبي ﷺ شرق البقيع أو زيارة الأماكن الأثريـــة الـــتي تعـــود إلى الرسول ﷺ والصحابة كالذهاب إلى موضع بيعة العقبة الذي خلف منى أو إلى أماكن الغزوات إلا ما استثنى كأحد وقباء فإن النبي ﷺ كان يزورهما. أو يذهب إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ليصلي فيه ويدعو أو يسافر إلى غير هذه الأمكنة من الجبال وغير الجبال التي يقال فيها مقامات الأنبياء أو غيرهم أو مشهد مبني على أثر نبي من الأنبياء.

ومعلوم أنه لو كان هذا مشروعا مستحبا يثيب الله عليه لكان النبي ﷺ أعلم الناس بذلك ولكان علم أصحابه بذلك وكان أصحابه أعلم بـــذلك فلما لم يكونوا يلتفون إلى شيء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة الـــتي لم يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم وشرع من الدين ما لم يأذن به الله[٣].

وعن معرور بن سيويد عن عمر رضي الله عنه قال: خرجنا معـــه في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر بـــ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّـــكَ بِأَصْـــحَابِ الْفِيلِ**﴾ و﴿**لِإِيلَافِ قُـــرَيْشٍ**﴾ فلمـــا رجـــع مـــن حجتـــه رأى النـــاس ابتدروا المسجد فقال: ما هذا؟ قالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) البخاري، باب الصلاة في البيعة رقم ٤٢٤ (١/١٦٧)، مسلم، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد برقم ٥٢٨ (١/٣٧٥).

(٢) الفتاوى الكبرى (٢/٥٩).

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٠٤، ٨٠٧).

هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم: اتخذوا قبور أنبيائهم بيعا، من عرضت لـــه منكم فيه الصلاة فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض[١].

وفي رواية عنه: (أنه رأى الناس يذهبون مذاهب فقال: أيـــن يـــذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه النبي ﷺ فهم يصلون فيـــه فقال: إنما هلك من كان من قبلكم بمثل هذا، كانوا يتبعون آثار أنبيـــائهم ويتخذونها كنائس وبيعا، فمن أدركته الصلاة منكم هذا المساجد فليصـــل، ومن لا فليمض ولا يتعمدها)[٢].

وقال ابن وضاح[٣]: (وقد كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار بالمدينة ما عدا قباء وأحد)[٤].

---

(١) وقد أشار ابن حجر في فتح الباري أن ذلك ثابت عن عمر (٥٦٩/١)، وذكر القصة، كما أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١١٨، ١١٩) رقم (٢٧٣٤)، ومصنف ابن أبي شيبة (٢٧٠/٢) رقم (٩)، وقال الألباني إسناده صحيح على شرط الستة. الثمر المستطاب (٤١٧/١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) هو محمد بن وضاح القرطبي الحافظ محدث الأندلس صدوق راو في الحديث كان عالما بالحديث بصيرا بطرقه وعلله ورعا زاهدا صبورا على نشر العلم متعففا وكان كثير الخطأ ولد سنة ١٩٩هـــ، وتوفي سنة ٢٨٧هـــ. سير أعلام النبلاء (٤٤٥/١٣).

(٤) البدع لابن وضاح (١٠٦/١).

المبحث الخامس

الاعتداء في الدعاء الزماني

تعريفه: التعبد لله باتخاذ أزمنة معينة تخص بالدعاء دون دليل شرعي.

فالأصل أن الدعاء مستحب في كل وقت وفي كل زمن حتى في وقت النهي وورد الشرع باستحبابه في أزمنة معينة[١].

قال الشاطبي: (في الاعتصام) عن الكلام عن البدع الإضافية...) ومن ذلك تخصيص الأيام الفاضلة بأنواع من العبادات التي لم يشرع لها تخصيص كتخصيص اليوم الفلاني بكذا وكذا من الركعات أو بصدقة كذا وكذا أو الليلة الفلانية بقيام كذا وكذا...

ثم قال: ولا حجة لمن يقول: إن هذا الزمان ثبت فضله على غيره فيحسن فيه إيقاع العبادات لأنا نقول: هذا الحسن هل ثبت له أصل أم لا؟ فإن ثبت فمسألتنا كما ثبت الفضل في قيام ليالي رمضان وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وصيام الاثنين والخميس فإن لم يثبت فما مستندك فيه والعقل لا يحسن ولا يقبح ولا شرع يستند إليه؟ فلم يبق إلا أنه ابتداع في التخصص[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن العبادات المشروعة التي تتكرر بتكرر الأوقات حتى تصير سننًا ومواسم، قد شرع الله فيها ما فيه كفاية للعباد فإذا حدث اجتماع زائد على هذه الاجتماعات كان ذلك مضاهاة لما شرعه الله وسنَّه)[٣].

---

(١) سبق الكلام عنها في المطلب الثاني من المبحث الثالث.
(٢) الاعتصام (١٢/٢).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص٣٠٦.

أولا: دعاء ليلتي أول يوم من السنة وآخرها:

فقد اخترع بعض المبتدعة دعاء ليلتي أول يوم من السنة وآخرها وصار العامة في بعض البلدان الإسلامية يرددونها مع أئمتهم في بعض المساجد وهذا الدعاء لم يؤثر عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن التـــابعين و لم يـــرو في مسند من المسانيد[١].

وهذا نصه: (اللهم ما عملته في هذه السنة ما نهيتني عنـــه و لم ترضـــه ونسيته و لم تنسه وحلمت عليَّ في الرزق بعد قدرتك على عقوبتي ودعوتني إلى التوبة بعد جراءتي على معصيتك، اللهم إني أستغفرك منه فاغفر لي وما عملته فيها من عمل ترضاه ووعدتني عليه الثواب فأسألك يا كـــريم يـــا ذا الجلال والإكرام أن تقبله مني ولا تقطع رجائي منك يا كريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

يقولون: فإن الشيطان يقول: قد تعبنا معه سائر السنة فأفسد عملنا في ليلة واحدة ويحثو التراب على وجهه[٢].

ثانيا: دعاء ليلة النصف من شعبان:

حيث تُخص هذه الليلة بالدعاء المعروف الذي يطلب فيه مـــن الله أن يمحو من أم الكتاب شقاوة من كتبه شقيًّا... الخ ونصه ما يلي: (اللهم يـــا ذا الجلال ولا يمنُّ عليه يا ذا الجلال والإكرام يا ذا الطول والإنعام لا إله إلا أنت ظهر اللاجئين وجار المستجيرين وأمان الخائفين اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقترا علـــي في الـــرزق فـــامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي وثبـــتني عنـــدك في أم الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات فإنك قلت وقولك الحـــق في كتابـــك

(١) إصلاح المساجد (١٢٩).

(٢) ينظر البدع الحولية رسالة ماجستير ١٤٠٦هـــ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

المنـــزل على لسان نبيك المرسل ﴿**يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِـــتُ وَعِنْـــدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد: ٣٩] إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف مـــن شـــعبان المكرم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم أسألك أن تكشف عنا البلاء مـــا نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم إنك أنت الأعز الأكرم وصلى الله علـــى سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

وهذا الدعاء ليس له أصل صحيح في السنة فلم يثبت عن رســـول الله ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن السلف، وقد أنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز منهم عطاء وابن أبي مليكة وفقهاء المدينة وأصحاب مالك وقـــالوا كل ذلك بدعة[١].

ثالثا: دعاء آخر أربعاء من شهر صفر:

ورد في الحديث قوله ﷺ «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**»[٢] قال ابن رجب: إن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون: أنه شهر مشئوم فأبطل النبي ﷺ ذلك[٣].

فكثير من الجهال يتشائم بصفر وقد قال بعض الجهال: ذكـــر بعـــض العارفين أنه ينـــزل في كل سنة ثلاثمائة وعشرون ألفا من البليات، وكـــل ذلك يوم الأربعاء الأخير من صفر فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة فمن صلى في ذلك اليوم أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتـــاب مـــرة وسورة الكوثر سبع عشرة مرة والإخلاص خمس عشرة مـــرة والمعـــوذتين مرة ويدعو بعد السلام بهذا الدعاء، حفظه الله بكرمه من جميع هذه البليات

(١) السنن والمبتدعات (١/١٤٥).
(٢) البخاري، باب الجذام برقم ٥٧٠٧ (١٩/١٣٦)، مسلم باب: (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) برقم ٥٩٢٠ (١٤/٤٩١).
(٣) لطائف المعارف، ص٨١.

التي تنـــزل في ذلك اليوم و لم تحم حوله بلية في تلك السنة، ونص الدعاء هو (بعد البسملة.. اللهم يا شديد القوة ويا شديد المحال، يا عزيز، يا من ذلت لعزتك جميع خلقك اكفني من شر خلقك يا محسن يا مجمل يا متفضل يـــا منعم يا متكرم، يا من لا إله إلا أنت ارحمني برحمتك يا أرحـــم الـــراحمين، اللهم بسر الحسن وأخيه وجده وأبيه وأمه وبنيه[١]، اكفني شر هذا اليوم وما ينـــزل فيه يا كافي المهمات ويا دافع البليات، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين)[٢].

والتشاؤم من الاعتقادات الجاهلية التي انتشرت وللأسف الشديد بـــين كثير من جهال المسلمين نتيجة جهلهم بالدين عمومـــا وضـــعف عقيـــدة التوحيد خصوصا.

والتشاؤم مما ينافي تحقيق التوحيد وتحقيق التوحيد فيه ما يكون واجبـــا ومنه ما يكون مندوبا، فالواجب تخليصه وتصفيته عـــن الشـــرك والبـــدع والمعاصي. فلا يكون العبد محققا التوحيد حتى يسلم من الشـــرك بنوعيـــه ويسلم من البدع والمعاصي[٣].

رابعا: بدعة سرد آيات الدعاء:

ومن البدع التي في رمضان ابتداع بعض الجهلة سرد جميع ما في القرآن من آيات الدعاء في آخر ركعة من التراويح بعد قراءة سورة الناس فيطـــول الركعة الثانية على الأولى، ولا أصل لذلك في الشريعة بل هو مما يوهم أنـــه من الشرع وليس منه[٤].

---

(١) البدع الحولية: ص١٢٢.
(٢) وهذه لا شك ألفاظ لا يُتقرب بها إلى الله.
(٣) ينظر البدع الحولية، ١٣٠.
(٤) ينظر الباعث على إنكار البدع، ٨٦.

خامسا: التعريف:

المراد بالتعريف: هو اجتماع غير الحاج في المساجد عشية يوم عرفة في غير موطن عرفة، يفعلون ما يفعله الحاج يوم عرفة من الدعاء والثناء[١].

والتعريف نوعان:

الأول: اتفق العلماء على كراهته وكونه بدعة وأمرًا باطلا وهو الاجتماع في يوم عرفة عند القبور أو تخصيص بقعة بعينها للتعريف فيها كالمسجد الأقصى وتشبيه هذه الأماكن بعرفات لأن ذلك يعتبر حجا مبتدعا ومضـــاهاة للحـــج الذي شرعه الله حتى وصل بهم الأمر إلى أن زعموا أن من وقف ببيت المقدس أربع وقفات فإنها تعدل حجة ثم يجعلون ذلك ذريعة إلى إسقاط الحج إلى بيت الله الحرام كما ذكر الطرطوشي في كتابه الحوادث والبدع[٢].

وهذا النوع الذي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (لا أعلم بين المسلمين خلافا في النهي عنه)[٣].

الثاني: ما اختلف العلماء فيه قصد الرجل مسجد بلده يوم عرفة للدعاء والذكر فقال بعضهم محدث وبدعة وقال بعضهم: لا بأس بـــه والـــراجح والله أعلم أنه إلى البدعة أقرب منه إلى الســـنة وأمـــا مـــن رخـــص فيـــه مستندًا إلى فعل ابن عباس أنه أول من عرف بالنـــاس في البصـــرة فيفســـر شيئا من القرآن ويذكر الناس[٤] فإن ابـــن عبـــاس لم يكـــن يقصـــد أن

---

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث (٣١-٣٤).
(٢) الطرطوشي في كتاب الحوادث والبدع (١١٦-١١٧).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، ص٣٠٩.
(٤) البداية والنهاية (٣٠٢/٨).

يجتمع الناس للدعاء والاستغفار مضاهاة لأهل عرفة وأن ذلك من شـــعائر الدين كما بين ذلك أبو شامة في كتابه الباعث وإنما كان اجتماع النـــاس لسماع تفسير القرآن وكذلك لم يرد أن ابن عباس رضي الله عنهما كـــرر ذلك الفعل مرة أخرى فكيف بمن اتخذ ذلك سنة مشروعة يفعلـــها كـــل عام؟[1].

(١) البدع الحولية، بتصرف (١/٣٦٩).